3

نحو موسوعة علمية عربية في
الثقافة الجنسية والنفسية

سيكولوجيا الحب والحرمان



إعداد : كايد الشايب



نحو موسوعة علمية عربية   في الثقافة الجنسية والنفسية

سيكولوجية الحب والحرمان

306.8
شاي
الشايب، كايد
سيكولوجية الحب والحرمان / إعداد كايد الشايب
عمان: دار فضاءات، 2003.
ر.إ. : 2956/ 2002/12
الواصفات الزواج / الأسرة

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية المتسلسل2956/ 2002/12

سيكولوجية الحب

الطبعة الأولى
2002م

إعداد
كايد الشايب

دار فضاءات للنشر والتوزيع

مقدمة

هذا هو الكتبا الثالث في طريق سعينا نحو موسوعة علمية عربية تعنى بالجانب النفسي والجنسي عند الفرد , وقد تناولنا في هذا الكتاب مجموعة من المواضيع الهامة وقد تكون الركيزة الأساس في تشكيلنا النفسي والجنسي الباحث عن السعادة والاكتمال في ذات اخرى , فابتدأنا بالجوع العاطفي والجوع الجنسي وأثر كل منهما على التشكيل النفسي للفرد ودور الحرمان في تشويه عوالمنا , ثم تطرقنا الى الحب ومراتب المحبين وسيكولوجية وافتراق الشعوب فيه ... الخ , وتطرقنا الى الغزل الجنسي عند الإنسان والحيوان, وأثره على العلاقات المتبادلة, وبحثنا في انتحار المحبين وأسبابه وطرق علاجه , والخجل وأسبابه, ثم

ثم تطرقنا إلى الحب والتوافق في الزواج، والتوافق النفسي والجنسي واللذان لا ينفصلا في وحدتهما.

لقد حاولنا أن نكون واقعيين، بعيدين عن المثاليه المُهلكه، موضحين ضرورة تركيزنا في البيت والمدرسة، على أن للجنس أخلاقيات وأن أخلاقيات الجنس أو القيمة الجنسية، ليست إلا واحدة من الأخلاقيات والقيم العديدة في الحياة لا بد لها من قيم من نوع ما، وليست القيمة الجنسية أو الأخلاقيات العاطفية إلا مجالاً من مجالاتها وليست كل المجالات.

الجوع العاطفي والجوع الجنسي

هو **الجوع الوجداني أو النفسي**- الذي يدفع إلى أن يسعى الإنسان إلى أن ينال محبة وعطف المحيطين به، ومهما يعطونه من هذه المحبة وذاك العطف فانه يستزيدهم فلا يشبع، فهو دائما جوعان عاطفيا، وإذا لم يحصل على ما يريد فهو المكتئب والقلق والمضطرب. ولعل الجوع العاطفي اظهر ما يكون **عند الأطفال** الذين يعانون **الحرمان العاطفي**، ولا يلقون العناية من الأم لسبب أو لاخر، وتعوزهم الحياة العائلية ودفء العلاقات الأسرية.

ومن داب الجائع عاطفيا أن يبحث عما يسدّ جوعه، يسيء الاختيار فيقع على **إخوان السوء**، وتكون له وشائج قد ترضيه بعض الشيء. وقد يلجا الجائع عاطفيا في سبيل لفت انتباه من حوله إلى وسائل لا يرتضونها. وقد يجعله جوعه العاطفي عدوانيا وأنانيا، ويحول بينه وان يتفهم ظروف الناس وحقيقة قدراتهم على العطاء.

وقد يدفع الجوع العاطفي إلى ما يسمى **التسول العاطفي**، وهو استجداء عواطف الناس، ويكون عند البعض منذ الصغر. **والطفل** الذي يتسول عواطف أمه، أو **الطفلة** التي تتسول عواطف ابيها، لايفرق أيهما بين التسول المادي والتسول العاطفي، ويطلبان

دائما أن يكونا إلى جوار الأبـوين، وان تعطيـه الأم مـثلا نفسـها وجسـمها ووقتهـا وانتباههـا، وان ترضـعه مـن حنانهـا ولا يرتـوي أبـدا وهـو يريـد أبـدا أن يمتلكها، ويسعى لان تمتلكه، فهي له لا يشاركه فيها أحد، وهو أيضا لها بلا منازع. ويشب على هذا الحال فيكون دابة أن يتسـول عواطـف النـاس وخاصـة النسـاء. وإذا كان امرأة فأنها تتسول عواطف الرجال، وحالها أو حاله معهم حال **الرضـيع**، فكل الناس عندها أو عنده **أب أو أم**، وتعاملهم على هـذا الأسـاس، فـإذا لم تجـد منهم ما يرضيها ثارت وكأنها تثور على أبيها، أو كأنه يثـور عـلى امـه، فهـو يتوقـع منهم الكثير، ويعرف كيف يبتـز هـذا الكثـير مـنهم، والطريقـة التـي تـؤثر فـيهم فيعطونه ما يريد.

وطريقة المتسول العـاطفي تختلـف مـع النسـاء عنهـا مـع الرجـال، بـل وتختلف في كل مرة ومع كل شخص بحسب الظروف واتجاهـات هـذا الشـخص. وهو مع **النساء** قد يغريهن بنعومة ألفاظه ومعسول كلامـه ومسـارعته إلى تلبيـة ما يطلبنه وتوفره على خدمتهن، وله من شكله وسمات وجهه مـا يجعلهـن يملـن إليه. وسحنته هزيلة وبنيته غالبا ضعيفة، وملامحه تغري بالركوب إليـه. وعمومـا فالمتسول العاطفي **نوعان**، فهو أما **السلبي** الذي يأخـذ ولـيس عنـده مـا يعطيـه، واما **الإيجابي** الذي يسعى سعيا لينال هذا العطف ويجهد في سبيل ذلك بما يقدم من خدمات أو ينسجه من حكايات. **والأول** واهن واستجداؤه

للعواطف صامت، ولربما بصفة قول البعض عنه انه **مسكين**، فإذا تحدث فهـو المغلـوب عـلى أمـره، والضـائع الـذي يسـتحق الرحمـة والعطـف. وهـو المستجدي، وكان دائما كذلك منذ طفولته. **والثاني** قوي وحساس بالنسـبة لأمزجـة الآخرين ومشاعرهم، وخاصـة إذا كـان هـؤلاء ممـن يمكـن أن يردونـه ويرفضـون تقربه، وقد ينال منهم بعض الأذى ماديا أو أدبيا، وقلق هذا النوع من المتسـولين عاطفيا، والذي يدفعهم إلى التعجيل بالتقرب من الاخرين، قـد يجعـل محـاولتهم تبدو غريبة لا يفهمها المحيطون بهم وقد تتسبب لهم في بعض المشـاكل وتترتـب عليها بعض الماسي.

والصورة الإكلينيكية التـي عليهـا المتسـول عاطفيـا، وتاريخـه الانفعـالي، يجزمان بأنه ضحية **الحرمان العاطفي**، وانه وهو صغير قد نشا محروما مـن أمـه بشكل أو بآخر. ويتحدث بعض العلـماء عـما يسـمونه **متلازمـة الحرمـان**، وهـي مجموعـة الأعـراض المتقاربـة التـي تكـون بهـذا الشـخص والتـي توصـف بأنهـا تشوهات تصيب شخصيته. وكانت هناك دراسات عديدة على **أطفال المؤسسـات والملاجئ**، ويجمع المختصون على انه كلما كـان حرمـان الطفـل مـن أمـه في **سـن مبكرة**، كلما كان ذلك اضر بشخصيته، وتترتب عليـه نتـائج خطـيرة في المسـتقبل، ومن الأمثال الشـعبية أن **اليتـيم الحقيقـي هـو فاقـد الأم**. والطفـل الـذي يحـرم المحبة بشكل عام يمرض ويصيبه **الدنف** أو الهزال.

وقد تكون الام موجودة ولكنها لا توليه رعايتها، أو مشغولة بنفسها دونه.

والطفل ابتداء من **الشهر السادس** يكون إحساسه بالحرمان، وتتولد لديه استجابة حزن يطلق عليها بعضهم اسم **اكتئاب الانفصال**، ومن أعراضه السهوم وعدم التجاوب مع حوله، وبطئ الاستجابة للمنبهات والحركة، والانفعال بالبكاء والعزوف عن الطعام واضطراب النوم. وقيل أن الطفل الذي يدوم انفصاله عن الام لاكثر من **ثلاثة شهور**، من الصعب علاجه من أثار الحرمان العاطفي الذي عاناه، حتى بعد أن يعود إلى أمه ويوصف الطفل إكلينيكيا بأنه **منسحب ومهزول عاطفيا**، ويستمر معه الاكتئاب إلى الشيخوخة. وقد يجعله الحرمان من الام، أو الحرمان مما توفره له الام، من هدهدة وتنبيه للحواس، ومناغاة سمعية، وإشباع للحاجات واخصها الحاجة إلى الحب وعدم إشباع هذه الحاجة الأخيرة يولد لديه الجوع العاطفي يجعله ذلك أميل إلى الاكتئاب في مستقبل حياته، ويعرضه للإصابة بمختلف الاعصبة والذهانات، وقد يدفع به إلى الجناح. وهناك اتجاه يجعل أصول الاكتئاب من المراحل الأولى لحياة الشخص، وينسبه أساسا لحقيقة العلاقة بين الطفل وأمه. ويعتمد النجاح في **العلاقات الشخصية**، واخصها العلاقة بين الزوجين، على ما كان بين الوالدين وأطفالهم. وتنعكس علاقة الطفل بأمه على علاقته فيما بعد وعندما

يكبر **بزوجته**. وثبت من الدراسات النفسية أن القدرة على أن نعطي ونأخذ في الحب، تبدأ من الطفولة وتنمو معنا بالتدريب، وان الشخص الذي يعاني الحرمان العاطفي في صغره لابد أن يجد صعوبات في التوافق في علاقاته بالناس، وخاصة عندما يتزوج. وامثاله غالبا يلجأون إلى الزواج المبكر كطريقة للتعويض عن بؤسهم في الطفولة، ودفاعا عن أنفسهم من القلق، وحماية من التهديد الدائم الخارجي. ولربما يشفيهم من مخاوفهم أن يجدوا تعاطفا من الزوجه، وتفهما لحاجاتهم، وعندئذ فقد يكون سلوكهم في الزواج ايجابيا، ويستطيعون أن يعطوا مثلما يأخذون.

ويعرف علماء النفس **الحاجة إلى الحب** بأنها دافع يميل بكل منا إلى أن تكون له علاقة حميمة بأخر يبادله المحبة ويفهمه ويتجاوب معه، وهي حاجة أي أنها شيء نولد به وليست لها أسباب فسيولوجية، وتظهر فيما نبدية أو نتلقاه من معاملة طيبة وحنان ورعاية وحدب، أو قد تظهر في حرارة اللقاء أو السلام باليد، وتنعكس ملامحنا سرورا وحبورا وكلاما، وقد تعبر عنها بالتقبيل والأحضان، وقد تزيد بنا انفعالاتنا فتجيش من خلال الدموع.

ومن رأي بعض علماء النفس أن **الحاجة إلى الحب أو المحبة** هي في الأصل حاجة لان يكون إلى جوارنا من يشبع فينا حاجات أخرى، هي حاجات حسية تتعلق بالحواس كلها، وان **الجوع**

العاطفي هو لذلك **جوع للمثيرات**، وان التعلـق بـالأم هـو مـن ثـم شيء طبيعي، لأنها الأقدر على إشباع هذا الجوع بما تقدمه من ربت وهدهده ومناغاة واحضان وتقبيل وتغذية واخراج ولعب الخ، فإذا كبرنا فانه مـن الطبيعـي كـذلك أن تكون **الزوجة** هي الأقدر على أن تحل محل الام في اغلب مـا سـبق، بالإضـافة إلى إشباع الجوع الجنسي. **والإشباع العاطفي أشـمل مـن الإشـباع الجنسي** لأنـه يعني بالإضافة إلى الناحيـة الجنسـية مسـائل أخـرى كـالتفهم والعطـف والعـون والتشجيع الخ. ومن رأي **فرويد واتباعـه** أن التعلـق بـالأم مـن قبـل الطفـل أنهـا تشبع عنده حاجاته الأساسية. ومن أقوالهم **الطفل يحب أمـه لانـه يحـب اللـبن**، وهم يقولون أن المحبة والكراهية مسائل ليست فطرية ولكنها تترتب على إشـباع أو عدم إشباع للحاجات الأساسية.

وللحاجة إلى الحب **شقان، الأول** هو الحاجة إلى أن **نتلقى** الحب، **والثاني** هو الحاجة أن **نعطي الحب**، غير أننا نحتاج زمنيا أولا إلى أن نتلقى الحـب، لأننـا نبدا أطفالا لا نستطيع أن نعتمد على أنفسنا وليست لدينا القـدرة عـلى العطـاء، فإذا ما بدأنا نعي ونفهم كان باستطاعتنا أن نهـب القـبلات وان نعـبر بالأحضـان، وان نربت أيضا على أيدي الكبار أو وجوههم. والذي لاشك فيه أن الطفـل الـذي يعامله ذووه بمحبة هو الأقدر على أن يعطـي المحبـة في صـغره ثـم في كـبره، وان العدوانية والعزلة لا يمارسها الأطفال إلا لانهم يعاملون

بجفاء من الأهل. وتتأصل فيهم تلـك الميـول وينشـا الصـغير عـاجزا عـن تكوين الصداقات، وغير قادر على أن تكـون لـه بالنـاس علاقـات حميمـة مـن أي نوع.

ولم يكن من السهل إجراء التجارب العلمية لمعرفة تأثير الحنان في الصغر على الأطفال، ولكن أمكن الاستعاضة **بالقرود الصغيرة** لأنها أشبه بصغار الإنسـان، ويمكن أن تتعاطى الحليب أيضا مـن البـزازة. واسـتعيض عـن الام بمانيكانـات أي دُمَى لامهات تشبه القرود ولكنها من الأسـلاك العاريـة أو مـن الأسـلاك المكسـوه بالإسـفنج، لتُعطـي النعومـة، ولـيمكن تسـخينها لتكـون دافئـة. وكانـت القـرود الصغيرة عندما يحزنها أمر تعدو إلى المانيكانات الإسفنج وتتجنب المانيكانات مـن السلك، وذلك طبعا لان بها ما يجعلها فعلا اقرب الى الأمهات. وأيضا عندما كانت البزازات توضع بين ذراعي المانيكانات الأسلاك فان القردة كانت لا تبقى مع هذه المانيكانات اكثر من وقت الرضاعة ثم تـذهب إلى المانيكانـات الأخـرى لتحتضـنها وتظل معها كل الوقت أو معظمه، وذلك يثبت أن **الدافع إلى الحب مستقل عـن الدافع لتحصيل التغذية**. وأيضا فان صغار القردة عندما توضع في حجرات مغلقة وحـدها فأنهـا كانـت تقبـع في الأركـان خائفـة، فـإذا وضـعت معهـا المانيكانـات السلكية فان خوفها لايزايلها، فاذا حللنا محلها المانيكانات الإسفنج أسرعـت إليهـا وتعلقت بها، والأكثر من ذلك أنها بعد ذلك

تتركها وقد اكتسبت ثقة في نفسها لتكتشف المحيط الجديد حولها. وتؤكد هذه التجربة أن المانيكانات الإسفنجية كانت اكثر من مجرد مكان ترتاح القرود فيه، وانما هي كالأم الآدمية ملجأ ومصدر أمن وأمان كلما خاف الطفل أو واجهته مخاطر أو أعوزته حاجة. ومع ذلك فإن هذه القرود، حتى التي ربيت في أحضان المانيكانات الإسفنجية، نشأت عدوانية وهي بعيدة عن أمهاتها، ولم تكن تستطيع أن تلعب كما ينبغي، ولم تتزوج عندما بلغت، ولم يمكن تعديل سلوكها من بعد. وثبت ذلك أن **الاتصال بين الأطفال والكبار مسألة ضرورية**. وأن أساس كل اتصال هو **الاتصال الجسدي**، وأن الطفل يحتاج أن يحس بوجود أمه أولاً وجوداً جسدياً، وأن يستشعر حرارة جسمها، فإذا كبر قليلا كان مجرد وجودها حوله مطمئنا له، وهو يتعلم من حدبها ورعايتها أن يستجيب على طريقتها، وتزيد قدرته على التجاوب بالمحبة مع استمرار نموه، فإذا كانت البيئة مواتية في البيت والشارع والمدرسة فإن هذه القدرة تزيد باستمرار وتمتد إلى كافة مجالات نشاطاته، وينضاف إليها البعد الجنسي في فترة المراهقة، ويبلغ الدافع إلى المحبة أوجه بالزواج والحياة العائلية الدافئة. ولقد ثبت أن القدرة الجنسية مرتبطة بالقدرة على العطاء والتلقي. وقد يكون الرجل أو المرأة من غير هؤلاء له فحولة جنسية ولكنه فاشل كعشيق

أو حبيب أو زوج، وذلك لأنه في العلاقات الغرامية هناك البعد النفسيـ وعليه يتوقف نجاح كل اتصال جنسي.

والضور هو النهم بمعنى الجوع الذي لا يشبع، يدفع بصاحبه إلى تناول المزيد من الطعام، ويعتبره البعض من الأعراض الهستيرية أو التحولية، ومرجعه أسباب انفعالية غالبا، ولربما هو وسيلة لمواجهة الضغوط الخارجية والتوترات الداخلية، وكثيرا ما يفسر بوصفه محاولة لتحصيل الشعور بالأمان الذي كان في حياتنا الباكرة عندما كان تناول الطعام يتم مباشرة بمساعدة الأم. وقد يكون **فرط الشهية** طريقة بديلة لإشباع حاجات لم تشبع، وقد تكون البدانة المترتبة عليه مقصودة للقيمة الرمزية أو الدفاعية التي لها، حيث قد تضفي البدانة على البدين إحساسا بالمهابة والاحترام، أو تعطيه شعوراً بالقوة، وفي كل الأحوال فإن البدين يدخل في روعه أنه آمن مع زيادة وزنه. غير أن أهم المعاني الرمزية التي قد تكون لفرط الشهية هو أنه قد يمثل **جوعا للمحبة والحنان**، والمشاهد أن تناول الطعام عند الرضيع أو الطفل يتم في جو من الحب، ويرتبط الأكل بما يلقاه الصغير من الوالدين من رعاية وحب، أو قد يكون الجوع الدائم الذي يستبد بالمريض هو البديل أو المعوض لجوع آخر لأشياء. محروم منها في الوقت الحاضر، كالفهم من الناس، أو الاحترام من الأهل، أو الرعاية من المحيطين به، أو ربما من الجنس.

والحرمان الجنسي من أشد أنواع الحرمان قسوة على المحروم منه، وقد يدفعه الجوع الجنسي الذي لا يجد الإشباع إلى منصرفات كالإقبال على الطعام يستنفذ فيه طاقته الشهوية ويجد فيه لذته الكبرى، ويصبح الطعام بديلا عن الجنس، وعملية الأكل بديلا عن العملية الجنسية. وليس بمستبعد أن يطلب أطعمة أخرى، وليس ذلك إلا لمشابهة بينهما وبين أي من المكونات الجنسية، وقد تكون في الشكل أو الرائحة أو الطعم أو الحجم.

والجوع العاطفي دافع دينامي قد يكون له مع المريض تاريخ قديم يمتد إلى الطفولة. والمعروف من الأطوار النفسية الجنسية أن أحدها هو **الطور الفمي**. وفيه تتركز كل الحساسية الشهوية عند الطفل في فمه. وفي هذا الطور أيضا نجد في الطفل نهما لأن يعمل فمه في كل شيء، ويجد لذة كبرى في تناول الطعام أو في الرضاعة، وتجده يعمل شفتيه في ثدي أمه مصاً وعضاً، فإذا حرم من الرضاعة في غير الأوان، أو إذا لم تلب حاجاته الفمية ظلت به تلازمه وتلح في طلب الإشباع، وتستمر في هذا الإلحاح حتى البلوغ وما بعده، وقد لا تجد الإشباع طوال هذه المدة ومن ثم فقد يتحول المرء وهو صغير، أو عندما يبلغ، إلى الطعام يشبع به هذه الحاجات الفمية التي لم تشبع.

ويذهب أصحاب **مدرسة التحليل النفسي** إلى الربط بين فرط الشهية والجنس والحمل، والمشاهد أن الكثيرات من **الحوامل** يكثرن

من الأكل ويفرطن فيه، حتى أن الواحدة ليزيد وزنها كثيرا خلال الحمـل، وقيل في تفسير ذلك أن الحامل ربما لا تشعر بالأمان لما يمثله الحمل بالنسـبة لهـا من حيث أن بعض جمالها يختفي، وتختفي معه جاذبيتها، ومـن ثـم فقـد تفقـد جاذبيتها الجنسية وتختل مكانتها عند زوجها، أو ربما قد يأتي الطفل فيزيحها عـن مكانتها عنده ويشغل به زوجها عنها، **وقد يقلقها ذلك وتغار منه فتجد في الأكل وزيادة وزنها بعضا من الأمان الـذي قـد يطمئنهـا، وإشـباعاً لجوعهـا العـاطفي.** وربما يركز الأكل على المستوى الأعمق من اللاشـعور إلى رغبـات في المـوت تجعـل الطفل موضوعا لها، وليس **القيء** الذي يأتي الحوامل، وحالات الـوحم والرغبـة في أطعمة معينة، إلا محاولة من الحامل أن تتخلص من الجنين، إما بالإجهاض الـذي يرمز إليه القيء أو بأن تزحم بطنها بالأكل لتزهق به الجنـين. وتسـتمر محـاولات الأم اللاشعورية في التخلص من الجنين إلى أن تشعر به يتحرك في بطنها في الشـهر الثالث أو الرابع، وعندئذ يتوقف وحمها، وتدرك أنه أصـبح واقعـا، وعـاد شخصـا مستقلا عنها، وليس شيئا منها يمكن أن تقيئـه مـن جسـمها، أو تزهـق أنفاسـه في بطنها بما تزحم به هذا البطن من طعـام، وعندئـذ قـد يشـبعها الحمـل عاطفيـا. وبعض النساء مع ذلك عكس الصورة السابقة، وقد يرغبن بقـوة في الحمـل، وقـد يطول زواجهـن دون أن يتحقـق لهـن ذلـك، ومـن شـأن أمثـالهن أن يتحـولن إلى الطعام لعلهن به

يشبعن أنفسهن عاطفيا فيكثرن من تناول الطعام لـذلك وتزيـد أوزانهـن كثيرا ومن رأي **مدرسة التحليل النفسي** أن فرط الشهية قـد يتـأتى لا شـعوريا مـن رغبة عاطفية قوية في الحمل، وهي رغبة قد تستبد بالنساء كـما تسـتبد بالرجـال الذين يريدون لزوجاتهم أن يحملن، وكأن الطعـام والشرـاب قـد اسـتحالا **أدوات رمزية للإخصاب**، كما تستحيل البدانة رمزاً يمثل الحمل.

وفقد الشهية العصبي هو النقيض لفرط الشهية، وتصاب به البنات غالبا ابتداء من **الثانية عشرة حتى الواحدة والعشرين**، والإصابة به عند الإناث قـدرها عند الذكور تسع مرات. وتعجف البنت التي تمرض به وتهزل بشـدة وقـد تتـوفى، ونسبة الوفيات به مـن 5% إلى 15%، وغالبـا مـا تكـون المريضـة بدينـة قبـل أن تصاب به، وتعاف الطعام حتى لتغثيها رؤيتـه، وينقطـع طمثهـا. والمريضـات بـه لهن **شخصية** متميزة من حيث **عدم النضج**، ويتصرفن بأنانية، وتكون بهـن رغبـة في الظهور بمظهر مثالي ونشدان الكمال. وكذلك يلاحـظ علـيهن أنهـن مـن النـوع الموسوس أو الهستيري، وأغلبهن ذهانيات قبـل أن يصـبن بـالمرض، وأحيانـا يكـون فقد الشهية مترافقا مع الإصابة بالفصام. وتولي المريضات به مسائل التغذيـة مـن الصغر اهتماما غير عادي، ولهن من الطعام مواقف غير معقولة، سواء قبل المرض أو بعده، وقيل في تفسـير ذلـك أن **الطعـام عنـدهن رمـز للجـنس، وتناولـه رمـز للعملية الجنسية،**

والصورة الطفلية أن الحمل يحدث عن طريـق الفـم، ومـن ثـم فالإقبـال على الطعام قبل المرض **إشباع بديل لرغبات جنسية**، والاستعفاف بعد المرض ربما كان بسبب الخوف مـن الحمـل، أو قـد يكـون السـبب خـبرات جنسـية صـادمة، كحالـة إحـدى المريضـات وكانـت في المراهقـة، واعتـدى عليهـا مدرسـها جنسـيا، فصارت تعاف أي طعام يذكرها بالاعتداء عليهـا أو بشـكل الأعضـاء الجنسـية، أو بالرائحة الخاصة لأعضاء الجنس. والمعول عليه أن فقد **الشهية العصبي** اضـطراب نفسي ليست له أسباب عضوية، ولذلك يتوجـب عـلى المعـالج أن يتأكـد أولا مـن سلامة أجهزة المريضة الهضمية والجنسية والغُديه حتـى لا يكـون السـبب راجعـا إلى أي من نقص الإفرازات الكظرية أو النخامية، أو بسبب سـوء في الهضـم لـيس نفسيا.

واكتشاف **فقد الشهية العصبي** حـديث نسـبيا، ويرجـع الفضـل فيـه إلى العالم وليام جل، وأطلق عليه اسم **سوء الهضـم الهسـتيري** إذ كـان المضـمون أنـه ضرب من الاستجابة الهستيرية، وقد لاحظ أنه برغم الهزال الشـديد الـذي تكـون عليه المريضة فإنها تكثر من الحركة وتتوقد بالنشاط، الأمر الذي يجـزم أن المـرض **ليس لأسباب عضوية**. والغالب أن البنت المريضـة تكـون لهـا مشـاكل مـع أمهـا، والأم إما من النوع المسيطر مفرط الحماية لأطفالها، أو أنهـا قاسـية نابـذة لهـم ، فإذا بلغت وتجاوزت الطفولة فقد تحتج على حماية أمها أو على قسوتها باللجوء

إلى رفض تناول الطعام كما يفعل الأطفال، ولذلك يكثر هذا الاضطراب بين **البنات في سن البلوغ أو المراهقة**. وقد يعني رفض الطعام أن البنت تريد أن تضمر في أعين الناس لتدفع عن نفسها أن يزوجوها على غير ما تهوى، أو قد تكون رافضة أساسا لفكرة الزواج. وقيل إن البنت إذ تنشأ في بيت متزمت خلقيا، ومع ذلك تجد أن أفكارا إباحية تراودها، وأن نفسها تنازعها إلى ارتكاب الشهوات، فقد يلجأ الأنا عندها إلى هذه الوسيلة ليدفع بها عنها إلحاحات الهو وزواجر الأنا الأعلى. وهناك الكثير من البنات الكبار يبقين على طفولتهن ويجدن للبلوغ وطأة لا يحتملنها، ويخشين الحمل باعتبار صورته الطفلية التي لديهن أنه يحدث عن طريق الفم بتناول أطعمة معينة، ولذلك قد يعني رفض تناول الطعام محاولة من البنت أن تستمر صغيرة برغم علامات البلوغ الذي تخشى مغبته. وقد تشهد البنت الخناقات العائلية بين والديها، والأزمات التي تمر بها أسرتها، فإذا جاءها البلوغ رفضت فكرة أن تكون قد كبرت وحان زواجها، وأن تكون لها بالزواج تجربة كتجربة أمها، ومن ثم تتأبى على الطعام مع البلوغ، لعلها تهزل وتقبح فلا تتزوج. وقد يكون الاستعفاف عن الطعام عقابا تنزله بنفسها لما يأتيها مع البلوغ من نزعات جنسية. وعلى أي حال من الأحوال فإنه ما من حالة من حالات فقد الشهية العصبي إلا وتكون هناك **مشاكل عائلية** تعاني منها المريضة **وخاصة**

مع أمها. وقد تكون هناك إحباطات في التوافق الجنسي، وتفيد المريضة مكاسب ثانوية من حيث المعاملة من أهلها من خلال تداعيها بالمرض. ومهما كانت الديناميات السيكولوجية فالمعول عليه أن فقد الشهية العصبي **استجابة متعلمة** تأتيها بعض البنات كرد فعل لضغوط معينة.وقيل أيضا إن نشأة البنت التي تأتي هذه الاستجابة يكون غالبا في وسط من الصبية الذكور، فتكبر ولها سلوكهم، فإذا بلغت وكانت إمارات الأنوثة رفضتها، نفوراً من المظهر والسلوك والدور الأنثوي، وطلباً للاستمرار في المظهر والسلوك والدور الذكوري، فترغب بشدة أن يتوقف نموها، وتضرب عن الطعام وتعافه كمحاولة لإعادة عقارب الساعة للوراء. وكثيرا ما تبدأ هجمة المرض عقب **محاولة جنسية** من ولد يزاملها في اللعب، كأن يقوم بتقبيلها، وقد تحسب أن الحمل يتم عن طريق التقبيل فتخشى الدخول في التجربة مرة أخرى، بل وتخشى كل مل يمكن أن يقرب فمها ومن ذلك الطعام. وبعض المريضات قد يعفن الطعام كلية، وبعضهن قد يتناولن منه ثم يقئنه، والبعض يزعمن أنهن لا يشعرن بالجوع أبدا، والبعض قد يتحول اهتمامهن بالطعام إلى اهتمام بكتب الطهي، ويقتنين منها العشرات، ويقرأنها دون أن يحاولن تذوق ما تدعو إليه، وكأن الإشباع هنا بالقراءة بديل عن الإشباع بالتناول لأنه في الأساس طلب للإشباع العاطفي وليس المادي.

ومن الصعب **علاج فقد الشـهية العصـبي**، وخاصـة إذا اسـتفحلت آثـاره على الصحة العامة للمريضة، وخاصة كبدها، فيشق الشفاء، غير أنه في غـير ذلـك قد يفيد **العلاج النفسي** الذي يركز على مخاوف البنـت مـن ممارسـة دور الأنثـى البالغة أو أن يكون لها شكلها، إلا أنه قد يستمر لشهور أو لسنين. وأثبـت **العـلاج السلوكي** بعض النجاح، فطالما أن فقد الشهية استجابة متعلمة تعززها البيئة فإنـه بالإمكان تعزيز تناول الطعام، ويقتضي ذلك مثلاً تجريد حُجرة المريضـه مـن كـل أسباب الراحة فإذا طلبت شيئا من ذلك لم يُسمح لها به إلا إذا تناولت قـدرا مـن الطعام. وكذلك الأمر في أي من الطلبات الأخرى، مثل التحدث إلى أحـد، أو زيـارة أحـد، أو الاسـتماع إلى الموسـيقى، أو مشـاهدة بـرامج التلفزيـون إلـخ. ويتمشىـ تحقيق الطلب مع القدر من الطعام الذي تدعى لتناوله.

وتترتـب عـلى فـرط الشـهية أو الجـوع إلى الطعـام باسـتمرار **البدانـة**، والشكوى منها بين **الإناث** أكثر منها بين الذكور، ورغم أن البدانة قد تنشـأ نتيجـة اضـطرابات هرمونيـة ويمكـن ردهـا إلى العـادات الغذائيـة السـيئة في الأسرة والمجتمع، إلا أنه يتبقى دائما أن نجيـب: **ولمـاذا تأكـل بعـض العـائلات أكـثر مـن غيرها**؟ وأيضا **لماذا تأكل الإناث أكثر من الذكور**؟ ولا شك أن الإجابـة عـلى هـذين السؤالين لابد أن ينصرف إلى العلاقات التفاعلية التـي للبـدين أو البدينـة ببيئتـه، والعلاقات

التفاعلية بين أفراد الأسرة الواحـدة وبـين أفـراد المجتمـع ككـل. وتتمايـز العائلات والمجتمعات بما لها من مشاكل تترتب عليها استشـارات انفعاليـة يعـاني منها البدين بخاصة، ومن شأنها أن تجعله ينصرف إلى الطعـام يسـتنفذ في تناولـه طاقته الغضبية والإحباطات والتوترات في حياته. وكذلك قد تتأثر العائلة ككل، أو المجتمع في غالبيته بما يكون عليه حال الحكم والسياسات المعمول بها، والظروف المناخية والاقتصادية فيه، والعلاقات الاجتماعية التي تسوده، فهذه كلها أمور قـد تجتمع على الفرد الواحد أو الأفراد، بالإضافة إلى الاستعداد الوراثي، واليسر المادي، والإنفاق عن سعة، وتتكون بكل مـا سـبق عـادات اغتذائيـة فرديـة أو عائليـة أو اجتماعية. وتبرز العوامل الانفعالية كأهم سبب يـدفع إليهـا جميعـا، وخاصـة أن البدانة تبدأ مع مراحل الحياة التي يتحـاشى فيهـا أي إنسـان أن يزيـد وزنـه عـن المقـرر، وهـي مراحـل الطفولـة المتـأخرة والمراهقـة وأوائـل الرجولـة أو النضـج الأنثوي، الأمر الذي يضخم من آثارها ويجعل لها مردودا انفعاليا أكثر مـما لهـا في مراحل العمر الأولى من الطفولة، أو التالية على ذلـك في الثلاثينـات ومـا بعـدها. والطفل البدين يسعد أهله ببدانته ويحسـبون أنهـا فـرط صـحة. والرجـل الـذي يزيد وزنه في الثلاثينات قد يظن أن ذلك يجعله أكثر احتراما عنـد النـاس، ويبـدو أقوى. ويقال عن المرأة في الثلاثينات أن لها مظهر السيدات عندما تسـمن ويثقـل وزنها. وكم من مدرسات

وطبيبات وناظرات عاقهن الهزال عن ممارسة عملهن كما يجب، في حـين أن هذه السمنة قد تساعدهن كثيرا على تحقيـق مـا ينشـدنه في وظـائفهن أو في البيت.

ودلت البحوث على أن البـدين ينشـأ غالبـا في بيـت **الأم فيـه مسـيطرة**، وتمارس سلطاتها عليه وهو طفل من خلال مـا تفرضـه عليـه مـن أطعمـة، وهـي عادة أم توصف بأنهـا **مفرطـة الحمايـة** أو مفرطـة في العنايـة بأولادهـا. والطفـل البدين قليل الحركة فيجعله ذلك أكثر التصاقا بأمه واعتمادا عليها، وهو ما تريده الأم. وربما كانت سيطرة الأم راجعة إلى شعورها بعدم الأمان، مما يجعلها تتحـول إلى ابنها أو ابنتها تصنع منه ما تفتقـده مـن زوجهـا، أو توجهـه إلى مـا لم تحققـه لنفسها، وذلـك يفسر عنايتهـا الفائقـة وحرصـها الشـديد بطعـام أولادهـا، وكـأن الطعام الذي تعطيه لهم هو إشباع لهـا عـن جوعهـا العـاطفي. وكثـيرا مـا تكـون البدانة بالطفل لأنه يشعر أنـه غـير مطلـوب في الأسرة، وأن أمـه تنبـذه، ويلمـس قسوة أمه له من صغره وانصرافها عنـه وخاصـة في المرحلـة الفميـة مـن مراحـل النمو النفسي الجنسي، وفي هذه المرحلة تكون حاجـات الطفـل فميـة، ولكـن الام تفطمه قبل الأوان، وتظل معه حاجاته الفمية التي لم تشـبع طـوال سـنى حياتـه كلها وتطالبه دائما بالإشباع، فيكثر من تناول الطعـام لعلـه يتخفـف مـن وطأتهـا، عليه وقد تشعر الام النابذة لأولادها بالذنب لإهمالها لشئونهم فتعرض عن ذلك

بالمبالغة في تغـذيتهم كي تسـتر كراهيتهـا اللاشـعورية لهـم. وقـد ينطبـع الطفل بهذه العادات الغذائية، وخصوصا انه يكون في سـنوات التكـوين، وتتثبـت به هذه العادات، وتصبح ميولا واتجاهات تدفعه دفعا إلى الإقبـال عـلى الطعـام، فيزيد وزنه وتتأصل به البدانة في المراهقة وما بعدها.

وبعض الناس يفرطون في الأكل لانهم يريدون البدانة لما يعطيهم الـوزن من الأهميـة والاحـترام عنـد الاخـرين، ولمظهـر القـوة الـذي يبـدو عليـه البـدين وتفسير ذلك أن البدين، إنسان قلق وهو يلجا إلى الطعـام كلـما اسـتبد بـه قلقـه لعله يحد منه. وربمـا يخفـف الإفـراط في تنـاول الأطعمـة مـن الشـعور بالوحـدة والإحساس بالنقص، وقد يشـغل بـه البـدين عـن الاكتئـاب. وقـد يتوسـل المـؤرق بالطعام والإفراط فيه لينام، أو ليتحقق له من خلاله الاسـترخاء، وبعـض النـاس لا يحسون الاسترخاء إلا إذا أكلوا فافرطوا. وقد يتوسـل الـبعض بـالإفراط في الطعـام على الهروب من التوترات الانفعالية، فمثلا البدانة في المراهقـة أو في العشرـينات قد تكون الطريقة التي يهرب بها البعض لاشعوريا من القلق كلما كان علـيهم أن يلتقوا بفتاة. وقد تتعلل بعض البنات بالبدانة لترفض فكرة الـزواج، والحقيقـة أن الحديث أو التفكير في الزواج يستحضر للبنت القلـق، فلـكي تطـرد القلـق تشـغل نفسها

بالإقبـال عـلى الطعـام، وتجعلهـا البدانـة منفـردة فتنقـذها مـن قلقهـا ومخاوفها.

وربما يكون الفتى الذي يرفض فكـرة الـزواج عنينـا، وكـذلك ربمـا تشـكو البنـت مـن الـبرود الجنسيـ. ويـرد الـبعض البدانـة عنـد المـراهقين إلى الرغبـات الجنسية المحرمة التي يتعذر تحقيقها، فيسلم المراهق نفسه لمتعة الطعام كبديل عن متعة الجنس، وتصبح عملية الأكل بديلا عن العملية الجنسية.

وقد تمثل البدانة **رغبة في الحمل**، وبعض الرجال تسـتبد بهـم الرغبـة في الإنجاب ويعجز عنه لعنة به أو عقر بزوجته، وقد لا يعلنون عن رغبـتهم ولكنهـا تظهر في شكل الإفراط في الطعام وتحصيل البدانة التي لها مظهـر الحمـل. وقيـل في **الوحم** الذي يكون ببعض الحوامل، وحالة القيء التي ترافقه، إن المرأة لا تريد الطفل وتخشى مجيئه بسبب غيرتها من انصراف زوجها إلى الاهتمام بـه عنهـا، أو لأنها تخـاف أن يفسـد الحمـل والرضـاعة مـن جمالهـا، وان تقـل بهـما جاذبيتهـا بالنسبة للجنس الأخر، أو قد تكره مجـيء الطفـل لاسـباب اقتصـادية، أو لأنهـا لا تحب زوجها ولا تريد أن تنجب منه، فتتقيا وكأنها بـذلك تتقيـا الجنـين وتـتخلص منه. ويرمز الطعام إلى الحمل، والمرأة التي تفرط في الطعام قد تكون بهـا رغبـات محتدمة أن تحمل، وكذلك التي تقيء الطعام قد تعبر بذلك عن رفضـها للحمـل. وقد يكون إفراط الحمل في تناول

الطعام حتى لتتخم به، وكأنها بذلك تريد أن تزهق به انفـاس جنينهـا أو تزاحمه بالطعام على مكانه في بطنها تريد أن تطرده، والمشاهد أن الكثـيرات مـن الحوامل يزدن في الوزن كثيرا ويقبلن على الطعام بشراهة عـن ميـول في حقيقتهـا تفصح عن رفضها لدورها كزوجة وكأم.

وتذهب **مدرسة التحليـل النفسي-** إلى تفسـير البدانـة باعتبارهـا طريقـة لإشباع الحاجات الغريزية، ففي **المرحلة الفميـة** قـد يشره الطفـل ويجـوع كثـيرا ويرضع اكثر، لانـه يتحـول إلى امـه أو إلى الثـدي فيهـا بالـذات الـذي منـه يرضـع ويكون به اشـباعه، فيرغـب أن يسـتدمجه فيـه، ويكـون جـزءا منـه هـو، لا مـن شخص يغيب عنه أحيانا ويحرمه هذا الثدي غالبـا، ويحـاول أن يسـتدمجه فعـلا، ويعض فيه وتقبض عليه يداه، ثم يتعلم أن يستعيض عنه بان يزيد من الرضـاعة يشبع بها نهمـه إلى الثـدي ورغبتـه فيـه التـي يعجـز عـن تحقيقهـا. وفي **المرحلـة الشرجية** تكون هناك مقارنة بين الطعام وبين ما يخرج مـن الشرـج، والكثـير مـن الأطفال تستبد بهم أوهام شرجية من نوع هذه المقارنـة، وينصرـفون إلى الطعـام بالنظر إلى هذه الاعتبارات الشرجية السالفة. وفي **المرحلة القضيبية** ترتبط الرغبـة في الطعام بتوهمات الحمل والرغبة فيه. وينفعل الفم وكأنـه الفـرج أو يسـاويه، ويصبح الطعام بديلا عـن الطفـل، والبدانـة صـنو الحمـل، وتنـاول الطعـام مثـيلا للعملية الجنسية.

وقد تحقق البدانة أوهام عظمة عند البـدين، وتعطيـه إحساسـا بـالقوة الفائقة، وتحميه من شعور بالقلق الانفصال،أو قلق الخصاء، أو قلق الخـوف مـن الفناء. **وقلق الانفصال** يتأتى نتيجة غياب الام عن الطفل كثيرا حتـى ليصـبح هـذا القلق جزءا من البناء النفسي للطفل. واما **قلـق الخصـاء** فهـو الـذي يترتـب عـلى عقاب الأب للطفل وتهديده له بان يقطع قضيبه (حمامته) إذا لم يفعل كذا، أو إذا عاد لفعل كذا. واما **الخوف من الفنـاء** فهـو خـوف عـلى الأنـا مـن أن يـذوب ويفنى لسبب من الأسباب، أو بطريقة من الطرق. وفي تجربة الحب يعاني الشاب أو الشابة كل ذلك، فهما يلتقيان ولكن حتى في اللقـاء قـد يتعـذبان، لانهـما عـما قليل سينفصلان. وحتى في الجماع يكون قلق الانفصـال قبلـه وبعـده. وأيضـا قـد تراود الفتى والفتاة فكرة الخصاء، ويتوهم الفتى أحيانا انه بـلا قضـيب أو عـاجز جنسيا، وقد تتوهم البنت ذلك، وقد تظن نفسها غير قـادرة عـلى الإنجـاب، وقـد يخشى أيهما أن يحـب الأخـر فيفقـد نفسـه في هـذا الحـب. وقـد يقبـل المحبـون والعشاق على الطعام ويزيـد بـه وزنهـم تخلصـا مـن أنـواع هـذا القلـق وتأكيـدا لذواتهم.

وعلاج البدانـة أذن يقتضي- الإحاطـة بتـاريخ المـريض واكتشـاف المعنـى الانفعالي عنده للبدانة، بالنسبة لماضي حياته وحاضر تجاربه.

ولربما تؤدي مساعدته على حل صراعاته النفسية القديمة وتجاوز الضغوط التفاعلية الحالية على إنقاص وزنه.

وينبغي أيضا أن يأخذ البدين نفسه بعد العلاج بحمية خاصة تجعله يعتاد الوجبات الخفيفة، لانه لم يعد في حاجة إلى الطعام الزائد يعوضه عن قصوره النفسي، أو القصور في إشباع الرغبات التي لا يمكن إشباعها عن طريق تناول الطعام، **فالرغبة الجنسية لا يشبعها إلا الجنس**، واستبداله بالطعام قد يصلح مع شخص مريض ولكنه لا يجزي مع الشخص السوي.

الحب
مراتب الحب والمحبين وسيكولوجيته

الحب في الاصطلاح هو ميل الطبع في الشيء الملذ، وهو عاطفة مركبة منها **الهوى** وهو التوجه إلى الصواب، **والعلاقة** وهي الحب يلزم صاحبه، وسميت علاقة لتعلق النفس بالمحبوب، ثم **الكلف** وهي المرتبة الثالثة في الحب، وأصلها من الكلفة وهي المشتقة، ثم **العشق** وهو فرط الحب، **والشغف** وهو الحرقة يجد فيها المحب لذته في الحب، **واللوعة** مثل الشغف، ثم **الجوى** وهو الهوى الباطن وشدة الوجد من العشق، ثم **التتيم** وهو أن يستعبده الحب، ثم **التبل** وهو أن يسقمه الحب، ثم **الوله** وهو ذهاب العقل في الهوى. وفي الحب تكون **الصبابة** وهي رقة الشوق إلى المحب، **والومق** وهو شدة المحبة، **والوجد** وهو الحب الذي يتبعه حزن، **والشجن** وهو حب فيه الهم. **والشوق والاشتياق** نزاع النفس إلى الشيء **والوصب** ألم المحبة. **والسهر والأرق والكمد** قد تكون من لوازم الحب والشوق. **والخله** توحيد المحبة وهي رتبة لا تقبل المشاركه. **والود** خالص المحبة، **والغرام** هو الحب اللازم للشخص. وكل هذه الأسماء كمظاهر سلوكية وحالات سيكولوجية لشيء واحد، أو عاطفة مفردة، تعني التأثر الوجداني

بالمحبوب، والإحساس بالترابط مع شخصه، والشـوق والحنـين إليـه. وقـد يكون الحب لإنسان أو حيوان أو شيء. والحب إذا قوى وتأكد فهو **العشق**، وقيـل في التفرقـة بيـنهما أن الحـب أو المحبـة يكـون بـلا شـهوة، بيـنما العشـق يقـرن بالشهوة. وقيل إن عنصر الشهوة موجود بالحب دائما، وقيـل إنـه لـيس شرطـا أن يحوي الحب عنصرا شبقيا، وأنه يكفي أن يكون عاطفة أغلب وجـداناتها **المحبـة**، وتستهدف الارتباط بشخص آخر أو شيء مشخص، وطلب الخير والسـعادة لـذلك الشخص. وقيل إن المحبة قد تتسامى فتخلو من كيفية جنسـية، وقيـل إن المحبـة معناها صوفي أو ديني أكثر منـه علمـي، وحقيقـة **المحبـة عنـد الصـوفية** هـي أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء، **والعشق عنـدهم** أقصىـ درجـات المحبة، ومعناه اتحاد ذات المحبوب بذات الحـب، اتحـادا يوجـب غفلـة المحـب، شـغلا بشـهود محبوبـه في ذاتـه، ولـذا قيـل إن العشـق أقصىـ مقامـات الـذهول والغيبة، وأولاها **الغرام** وهو الانتشاء مـن خمـر المحبـة، ثـم **الافتتـان** وهـو خلـع العذار وعـدم المبـالاة بـالخَلْق، ثـم **الوَلَـه** وهـو مقـام الحـيرة، ثـم **الـدهش** وهـو الذهول، ثم **الفناء** عن رؤية النفس، وهو أن يكون العاشق لا يسمع إلا لمحبوبـه، ولا يبصر إلا به، ولا يدرك إلا به وله، ومنه فناء به عـن نفسـه وعـن الأشـياء كـما كان قيس بن الملوح المسمى **مجنون ليلى**.

وأما **الحب عند علماء النفس** فله خمسة تصانيف، فصنف هو **الحب الأخوي**، يكون بين الاخوة على الحقيقة أو على المجاز، وقد نستشعره للناس، فنطلب لهم الخير، ونعمل على توفيره لكل المحيطين بنا، وصنف هو **الحب الأبوي** ويكون من الأب لأولاده. وقد يعتبر الشخص الجميع أولاده، ويسعى لصالحهم ويؤثرهم على نفسه، ويحس بهم امتدادا لوجوده، وبهم يتأكد وجوده ويُستبقى؛ وصنف هو **الحب الشبقي**، يكون عشقا وكلفا بالمحبوب، فيطلبه دائما ويهدف إلى الالتصاق به ويتمنى وصاله، وصنف هو **حب الذات** فيرضى بنفسه عن الناس، ويقنع بها، وقد يدفعه ذلك إلى الاستحواذ، يريد أن يجعل من نفسه أفضل مما هي عليه، وأن يميز عن كل الناس، وقد يطلب صحبة الناس لأن ذلك يفيده ويعود عليه بالنفع، والصنف الخامس والأخير هو **حب الله**، ومصدره الحاجة الأكيدة في الإنسان لأن ينتمي، وأن يتواصل بالناس والعالم والكون كله، وأن يعتقد أن للوجود غاية، وأن له خالقا، ومن ثم تكون حركته في الحياة محسوبة بقيم عليا، يعطيه الإيمان بها ثقة في نفسه وأملا في حياة أفضل، ويحميه من الشك الذي يمكن أن يعصف بتفكيره فيشمله منه القلق ويتردى به إلى اليأس.

ويولي أطباء النفس أكثر اهتماماتهم **للحب الأبوي والحب الشبقي**. وهناك العديد من التعبيرات يتشكل بها الحب الأبوي،

وكلما نما الطفل اختلفت معاملة الأبوين له، فالرضيع له معاملة، وكذلك الصبي. ومن الأبوة أن يتفهم الوالـدان حاجـات أطفـالهما، وتمتـد المحبـة فتكـون عناية بجسـم الصـغير وتلبيـة لمطالبـه، فـإذا شـب وكـبر صـارت الرعايـة لمهارتـه، وتشجيع محاولاته لاختبار الواقع، والتعـرف إلى إمكاناتـه، واكتشـاف العـالم. فـإذا كان في المدرسـة كانـت ترقيـة لاتجاهاتـه، ودفعـا لميولـه، واستحسـانا لسـلوكه أو ترشيدا. فإذا كانت المراهقة تحول الحب فصار تأكيدا لاطمئنان الأبنـاء، وترسـيخا لاستقلاليتهم، وأن تكون للولد أو البنت حياتـه الخاصـة، وأن يستشـعر أن أبويـه يثقان فيه وفي قدرته على ممارسة الحيـاة وحـده وأن تكـون لـه خبراتـه. وأثبتـت الدراسات النفسية أن القدرة على بذل الحب، وكذلك تلقيـه، لا يمكـن أن تتطـور وتتأكد بالطفل إلا إذا عمل الوالدان على تنميتها خلال سـنوات التكـوين، ويعنـي ذلك أنه لابد أن تسود البيت الـذي ينشـأ فيـه الصـغير مشـاعر وديـة بـين أفـراد العائلة، فلا تتربى فيه اتجاهات الشك والريبة والأنانية والعدوانية، ولا يتحصل لـه الإحباط ويتأكد لديه أنه منبوذ وغير مرغوب فيه، وتجتمع عليه مـن جـراء ذلـك مشاعر سلبية، تتشكل بها حياته داخله، وقد يعامله الناس بتفهم أكبر، وينجح في أن تكون له بهم علاقات مثمرة، تساعده على التغلب على ما قد ترسب في نفسـه نتيجة المعاملة الأولى السيئة، ومن ثم يصبح أكثر تقبلا للحب وتجاوباً معه.

والحب بخلاف **الافتتان**، وإن كان الحب لا يستغني عن الافتتـان، ولا بـد أن يستبقي من مرحلة الافتتان شيئا. والافتتان قد يأتي عفوياً وفجأة، بينما الحـب يقتضي زمنا، وفي الافتتان يكون الشـخص محبـا للحـب، أي بـه الرغبـة أن يقـع في الحب، بينما في الحب يحب المحب شخصا. وفي **الافتتـان** يكـون المحبـوب مغـايرا للمحب، أي أن المحب لم يشعر بعـد أنـه والمحبـوب واحـد، بيـنما هـو في الحـب يتعين بالمحبوب ويرى نفسه فيه ويتحد بـه. وفي الافتتـان يعتـور القلـق المحـب، ويريد أشياء، ويحلم بأشياء، ويتمنى أشياء، ولكنه في الحب تتنزل عليه السـكينة، وتدخل الطمأنينة نفسه وتفكيره، ويكون في سلام مـع نفسـه والعـالم مـن حولـه. **والمحب المفتون** قـد يصـيبه الإحبـاط، ويفقـد الطمـوح، ويعـاف العـيش وحتـى الطعام، ويكون في ذهول، ولكنه في الحب يلهمـه حبـه فيعمـل ويقـدح ملكاتـه، ويحاول أشياء ليرضي بها محبوبه ويدخل عليه السعادة. وفي **الافتتان** هنـاك دائمـا الجسد والرغبة في الوصال أكثر مما في **الحب**، والمحب المفتون قـد يتغـير بسرعـة، بعكسه في الحب، فالحب يدوم.

والافتتـان قـد يكـون شركـا إلى الـزواج المتسرـع، وخاصـة عنـدما يكـون المحبان والهين، تقض مضجعهما الرغبات الجنسية، ويـتعجلان الوصـال، أو تكـون بهما حاجات اعتمادية، ويريدان، أو واحد منهما، أن يلقي على الآخر بمسـئولياته، أو قد يدفعهما إلى الزواج أن يجدا فيه

خلاصا مـن الوحـدة أو السـأم أو الكآبـة. وأمـا **الحـب الحقيقـي** فعـلى النقيض، قد تدخله الرغبات الجنسية التي تدفع إليها دوافع فكريـة ونفسـية لهـا اعتباراتها، وتدعو إليه الاهتمامات المتماثلة للطرفين، والإعجـاب المتبـادل بخـبرات كلٍ وطموحاته، وكما في الحب الأخـوي والحـب الأبـوي يسـعى فيـه الطرفـان إلى إسعاد بعضهما، والعمل على كـل مـا مـن شـأنه أن يرقـى فـيهما مشـاعر الحـب، ويرهفها وينميها.

وكـان **الإغريـق** القـدماء لا يعترفـون إلا بالحـب الجنسيـ الـذي قوامـه الافتتان، غير أن **أفلاطون** جعل للحب معنى متساميا، وهـو بحسـب جدلـه يبـدأ بالأقل وينتهي بالأكبر، فنحن نحب الشخص أو الشيء الجميل، ثـم نحـب مـا هـو أجمل في الأشخاص والأشياء، ثم نخلص إلى أن نحـب الجـمال في المعـاني ولـيس في المحسوسات، وقد نبلغ كمال الحب فنحب الجمال الإلهي الأسمى. ومن الحب ما يكون بحسب الجدل النازل كحب الأنبياء والصديقين وخاصة **الصوفية**، فهو تعين وامتلاء بالمعاني الإلهية، وخـروج عـن الـذات. وبـذل وعطـاء للنـاس، عـلى عكـس **الحب الأفلاطوني** الذي هو تركز حول الذات، ومـن الحـب أيضـا **الصـداقة**، وهـي حب أخوي لا يقوم على التجانس والتجاذب ولكنها ارتباط بين اثنين مـن الأخيـار، لا للانتفاع، ولا لأنهما متشابهان في الاهتمامـات، أو حتـى يجمـع بيـنهما تجـاذب الأضداد، فالصداقة المبنية على أسبابها تزول بزوال مسبباتها، وأما **صداقة الأخيـار** ففيها دائما

العطاء الذي لا يسعى إلى مقابل، وتقوم بين الأنداد. ويجمع **أرسطو** في الصداقة الحقيقية المحبتين معا، **محبة الذات ومحبة الغير**. ولا تعني محبة الذات الأنانية الكريهة المستحوذة، وإنما هي محبة الذات بمعنى الاهتمام بها والسهر عليها، لترقى باستمرار وتكون أهلا للمحبة ومتصفة بالفضيلة. ويرفض أرسطو إمكان قيام الصداقة بين الأشرار، لأن الشرير لا يمكن أن يفرح للخير يتحصل لصديقه، بل سيحسده عليه، ومن ثم فالصداقة لا تجتمع إلى شرير.

والحب عند **علماء التحليل النفسي** حالة وجدانية، فيها رغبة المحب أن يمتلك محبوبه، وأن يتعين به، ورغبته في أن يسعده ويلذه، وأن يواصله، وأن يجد لديه صدى لحبه فيبادله حبا بحب، وأن يسعد به ويقربه. والحب عند فرويد متمايز عن الصداقة، وعن الافتتان، ولكنه مظهر غرائز الجنس، ويختلف التعبير عنه بحسب تطور اللبيدو أو الطاقة النفسية عند الشخص، ابتداء من الطفولة وانتهاء بالكهولة. وقد تكون صور الحب في مرحلة متقدمة من مرحلة متأخرة، بمعنى أن الشخص ينكص إلى الماضي ويعبر بطرقه عن حبه. أو قد يستخدم الحب وسيلة دفاع ضد المشاعر العدوانية أساسا. وقد يتسامى بحبه الذي لا يجد التحقيق المباشر له كأن يتحول إلى حب مثل أعلى، أو إلى حب الإنسانية بعامة.

ويذهب **فرويد** إلى القول بنوعين من الحب يصفهما بأنهما النمطان الأساسيان، **الأول النمط النرجسي**، فيحب المرء نفسه ويتعشق ذاته تعشق **نرسيس** أو **نرجس** في الأسطورة اليونانية لصورته، أو يحب الصورة التي كان عليها سابقا، أو التي يُحب أن يرى نفسه فيها لاحقا، أو يحب شخصا يرى فيه نفسه حاليا، أو سابقا، أو لاحقا، أو يحب شخصا يريده أن يكون كنفسه، وأن يكون له فهمه للحياة، وأن تكون له اتجاهاته، أو يرى أنه يشبع فيه الحاجات التي كان يصبو إليها، وقد يحب الرجل امرأة بعينها لأنها ترعاه كأمه، فهي بديل للأم، أو تحب امرأة رجلا لأنه يلبي حاجاتها ويحميها كأبيها، فهو البديل عن الأب.والحب عند البالغين مزيج من كل ما سبق، ويتضمن كافة العناصر السالفة. ولا يوجد حب لا يجد المحب فيه محبوبه إلا على حال من الأحوال التي عرفها بالخبرة، وعايشها في حياته وكانت له هادياً في اختيار من يحب.

والحب يبدأ في التحول من حب الذات أو الحب النرجسي إلى حب الموضوعات الأخرى بخلاف الذات، عندما يتبين للطفل أنه لا يستطيع أن يحوز تماما ما يحب من أمه وهو الثدي، فلقد عامله طويلا كجزء منه حتى ليعضه أحيانا ويمص فيه مصا يريد أن يلتهمه ويتمثله، إلا أنه يضطر أن يعي أن هذا الثدي لا يخصه بالدرجة الأولى، ولا يمكن أن يكون له وقت ما يشاء، ويستشعر به موضوعا خارجا عنه

تتعلق به رغباته، وتدور حوله عواطفه وانفعالاته، ويتعلم أن يشحن الأشياء من خارجه شحنا وجدانيا يصرف إليها بعض طاقاته، بدلا من أن يصرفها كلها على ذاته وحدها، وحينئذ فقط تبدأ مرحلة **الحب الموضوعي** في مقابل **الحب الذاتي**، وهي في أول الأمر مرحلة ترتبط بما يشبع ذات الطفل، ثم يتخلص الحب بالتدريج من أن يتبع حاجات الطفل، ولا يكون هدفه الإشباع الغريزي.

وأنضج أنماط الحب هو **الحب التناسلي** أو الذي يأتي في الطور التناسلي من أطوار النمو النفسي الجنسي، وفيه يتوقف الإنسان عن أن يطلب الإشباع الجنسي المباشر، ويتعلم أن يتسامى بغرائزه، ولا يعود يحب نفسه بقدر ما يتوجه حبه إلى موضوع غير ذاته، وينتهي عن أن يطلب أن يحوز ما يحب ويضمه إلى نفسه، ولكنه يصرف إليه طاقته حيث يرعاه، ويضفي عليه من العناية ويبذل له من نفسه، وعندئذ لا تتوجه إليه عدوانيته، وينفصل الحب عن العدوان. وهذا النوع من الحب التناسلي يتوقف على المصالحة التي تتحصل من داخل الشخص للصراعات الأوديبية فيه. ويعتمد اكتمال هذا الحب على نجاح الشخص في حل هذه الصراعات، غير أنه من ناحية أخرى فإن الشخص التناسلي ينال أيضا إشباعا لنرجسيته، وإن كان إشباعا ثانويا، وذلك بما يتلقى من محبة الطرف الآخر، واللذة التي تتحصل له من عملية الحب، والتراضي الذي يتم من خلال ذلك بين متطلبات

الأنا والانا الأعلى، ففي الحب التناسلي يوجد العطاء والأخذ، أو الإيجـاب والسلب. والذي يعطى دائما يكرر دور الأم التي ترعى.

وحب الآباء هو من نوع الحب الذي يعطى، والذي يتوجه فيه التسـامي إلى موضوع الحب. وهو أيضا من **النوع النرجسي** لأن الأبـوين إذ يحبـان الإبـن أو الإبنة يفعلان ذلك لأنهما يريـان فيـه أو فيهـا نفسـيهما في الصـغر، أو يريـدان أن يصنعا منه أو منها ماكانا يتمنيان أن يكوناه. ومع ذلك فمن الحب الأبوي ما هو من أنضج أنماط الحب.

وأما **الحب الأخوي** فهو مزيج من الحب النرجسي والحب الاعـتمادي، أي أنه قد يقوم على محبة الأخوة حيث يلبون للشخص مطالبـه، وكـأنهم أدوات لـه أو أجزاء من نفسه، فهو يحبهم كنفسه، أو يحب فيهم نفسه. وأيضـا هـو يحـبهم لأنهم مغايرون لنفسه، إلا انهم يلبون حاجاته ويعتمد علـيهم في إشـباعها، وهـذا هو **الحب الاعتمادي**. ويقوم الحب الأخـوي عـلى مـا يسـمى **تكـوين رد الفعـل**، بمعنى أنه قـد يترتـب كنتيجـة عكسـية لانفعـالات **التنـافس** بـين الأخـوة، أو قـد يستحدث بتأثير التسامي بمشاعر التنافس، أو حينما يجد الإخـوة أنهـم أقـرب إلى بعضهم بفعل تعينهم جميعا باتجاهات الأبوين والتربية الواحدة.

وليس **الحب الجنسي المـثلي** إلا نوعـا مـن **الحـب النرجسيـ**، حيـث يجـد المثلى الجنسية أنه يهوى أشباهه مـن الـذكور. وطلبـه لهـم وتهافتـه علـيهم هـو ضرب من الإشباع النرجسي أو الذاتي لغرائزه، فهو يتمثلهم في نفسه وكأنهم نفسه، ويلذ بهم نفسه.

والحب العصابي الذاتي عند فرويد هو أن يحب الشخص نفسـه، كـما لـو كانت موضوعا خارجيا، إلا انه لا يربط نفسه بها برباط خارجي كما يفعل المـثلى الجنسية، كحال الزوجين اللذين يبدو أنهما يعيشـان في وئـام وسـعادة ويتبـين أن كلا منهما يشبع في الآخر ناحية عصـابية، ولـيس تعلـق أحـدهما بـالآخر إلا لهـذا السبب.

والحب بـين الأزواج نـوع متميـز لا شـك في ذلـك، ولا يقـوم عـلى اللـذة والمنفعة القاصرتين. وصدق **الرسول** أن كـل محبـة تقـوم عـلى أسـباب غـير إرادة المحبة ذاتها مآلها الفشل، وذلك أن الجمال والمكانـة والـثراء كلهـا إلى الـزوال، ولا يدوم إلا المحبة التي مصدرها إرادة المحبوب ككل. ومحبـة هـذا أساسـها تسـتمر وإن فنيت الأعراض.

والحب الزوجي حب لزوجة واحدة ولا يمكن أن يكون حبا **لزوجتين**، لأن الزوج في هذا الحب لا يسعى إلى اللذة كما في الايروس أو الحـب الشـبقي، الـذي يسمح له بتعدد موضوعات الحب، والتنقـل مـن امـرأة لأخـرى، ومـن جـمال إلى جمال. ولا ينظر الزوج في هذا الحب إلى زوجته باعتبارها موضـوعا لحبـه، ولكـن باعتبارها ذاتا

يعطيها ويسعى لأن يسعدها. وهذه المحبة لا تتأتى إلا بعد طول العشرة وكثرة المشاهدة والخبرة. وصدق ابن **حزم الأندلسي** إذ يقول إن الحب من النظرة الواحدة ضرب من الشهوة، وذلك أن اتصال النفوس وتلاقيها، لا يكون إلا بعد أن تتهيأ لهذا الاتصال، وتسعد له بعد إيصال المعرفة إليها بما يشاكلها ويوافقها، ومقابلة الطبائع التي تخفى على المحب من محبوبه بما يشابهها عنده، وحينئذ يكون اللقاء صحيحا ويحدث أثره. وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة، فإذا تجاوزت المحبة الشهوة إلى توافق في الطبائع يكون **العشق**. ومن هذا يدخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنتين، ويتزوج من **امرأتين متغايرتين**، فإنما هذا جائز من جهة الشهوة ويسمى محبة على المجاز لا على التحقيق. وأما في الحب الأصيل فما للمحب من وقت أو جهد يصرفه على غير محبوبه من أسباب دنياه، فما بالك بأن يشتغل قلبه وفكره بحب ثان؟(**طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي- باب من لا يحب إلا مع المطاولة**).

على أن الكثيرين من المفكرين من غير المسلمين لا يذهبون إلى هذا المذهب عند ابن حزم وعند غيره من علماء النفس، وفي ذلك يقول **إميل لودفيج** مثلا إن عدم تعدد الزوجات من مضار النصرانية، لأنه مخالف للطبيعة، حتى إن أكثر الحيوانات، نشوءا واقتصاراً على

زوجة واحدة، ليست كذلك إلا في بعض الأدوار. ويقول **لـودفيج** إن عـدم تعدد الزوجات ممكن في جزيرة منفردة، لأن الناس في الجزيرة يكونـون مجـبرين حينئذ ومحكومين بالظروف، وأما استمرار الزوجين في الأحوال العادية فهو مسألة اختيار، ففي الزواج يوجد فردان، وائتلافهما يتوقف على ما يمكن أن تلتقـي عليـه اتجاهاتهما. ولربما لا يفرق **لودفيج** بين الحب والزواج، ومن الـزواج مـا يمكـن أن يكون دارجا أو عاديا ويسـتمر كـذلك, ومـن الممكـن أن يقـوم الـزواج بـلا حـب، وحينئذ ينبغي أيضا التفريق بين الحب والجنس. والزواج القائم عـلى غـير الحـب هو علاقة جنسية أو علاقات أخرى اجتماعية أو دينية أو غـير ذلـك، وأمـا الحـب فهو اقتران بين نفسين يحفل بالمد والجزر، وجدانيا أو عاطفيـا، وحسـيا أو شـبقيا، فإذا قام الزواج على الحب فهو النعمة الكبرى والقـوة العظمـى، وليسـت الرغبـة في الولد من مثل هذا الزواج إلا محاولة لاستدامة السعادة وممارسة الخلود لأرق وأرهف المشاعر الإنسانية.

والغيرة من المشاعر التي لا تكون إلا مع الحب، وهي رغبة تكون بـالمرأة أو الرجل للاسـتئثار بشـخص المحبـوب، ومـن ثـم يخشىـ أن يفقـده، أو أن يعيـد تقويم الموقف، وينتقد نفسه، وينسب إليها بعض أسباب انفضاض المحبوب عنه، ويستشعر لذلك بكراهية للآخر الذي أفلح أن يختطفه منه.

والغيرة ترجع إلى الموقف الأوديبي منذ الطفولة، وأساسها العلاقات بين الطفل وأبويه، وما يتولد عنده من مشاعر، سواء كان ذكرا أو أنثى، تجاه الأب أو الأم، وما يتفجر في نفسه من صراعات، يتوقف على حله لها ما يمكن أن يقوم بينه كبالغ وبين الجنس الآخر.

والغيرة هي تكرار لتجربة الخوف من فقد الأم أو الأب في الطفولة. وقد تزيد الغيرة وتؤدي إلى الشك والارتياب، وتصبح هذاء يلاحق صاحبها دون سبب يسوغها، فيعتقد الرجل مثلا أن لزوجته علاقة بآخر ويتهمها بذلك، ويفسر أشياء رآها أو سمعها تفسيرات تخدم اتهاماته. ويشاهد ذلك كثيرا عند **مدمني الكحول والمخدرات**. وقد يبدي الرجل غيرة على زوجته، والحقيقة أنه يغار منها، بسبب لواطة كامنة فيه تدفعه دفعاً لأن يرغب في منافسه عليها، ولكنه يقاوم رغباته ويقلب الوضع، ويسقط ما به على زوجته ويتهمها بما فيه. ومما يدعو الرجل مثلا أن يتعشق غريمه، أن تفكيره يذهب به إلى أن يفتش عن الخصال التي يملكها هذا الغريم، والتي مايزته عند زوجته عليه، ويقضي ليالٍ بطولها يفكر ويتخيل وجود مؤهلات في منافسيه ويلوم نفسه على عدم امتلاكها، ويحسده عليها، ويتمنى أن تكون له. والغيور لا يبحث عن فضائل المنافس إلا في رجولته، وينسب إليه رجولة وفحولة ليستا فيه. ومن النادر أن تجد الرجل أو المرأة التي تتسامح مع منافستها. ومن العسير أن نجد على الدوام شخصيات مثل

فولتير، الذي ضبط في الأربعين من عمره خليلته بين ذراعي أحد تلاميذه، فاكتفى بتعزيره ولامهما على أنهما لم يستترا.

والغيرة عند الرجال بخلافها عند المرأة، **فغيرة الرجل** خوف وغضب من أن يفقد ما يمتلكه، بينما غيرة المرأة خوف وغضب من أن تفقد من يملكها. وكذلك يختلف **حب الرجل** عن حب المرأة، ذلك لان الأول يستهدف امتلاك المرأة بحيث لا يكون لها كيان إلى جانب كيانه، بل تفني في كيانه، ويعبر عن ذلك اجمل تعبير **دكتور صلاح مخيمر** فيقول أن ذلك يتم كما تستحيل التفاحة عبر عملية التمثيل إلى دم في عروقه، بينما في الاتجاه لمضاد يستهدف حب المرأة للرجل أن تفني في كيانه فلا يكون لها وجود إلا ضمن وجوده. والى هذا النوع الأخير القائم على مقولة **الملكية في الحب** تنتمي مشاعر الحب عند الصوفية، ولم تكن **رابعة العدوية** تطلب النعيم أو تهرب من الجحيم وهي تقول بالحب الإلهي ولكنها كانت تهفو أن يضيع كيانها في هذا الحب، وان يتوحد بالله سبحانه (**صلاح مخيمر، سيكولوجية الحب**). وينسب **الدكتور مخيمر** المعاناة في الحب إلى التفرقة بين **اللذة** في الحب التي تنتهي بنشوة الانعاظ، وبين **الاتجاه** إلى هذه اللذة وهو السلوك الذي يسبقها. ويميل بعض الناس إلى التوقف عند هذا السلوك ويستديمون ما فيه من لذة ويسميها الفرويديون **لذة الاحتجاز**. وينسب كل الشعراء العُذريون الى هذا الأسلوب

الاحتجازي في الحب، حيث تتحقـق اللـذة مـن خـلال المعانـاة. والشـاعر العذري يجد لذته في الأنين، وسعادته في أن يعيش هذا **الاتجاه** إلى اللـذة دون أن يبلغها حقيقة، فان يعيش في توتر وانتصاب دائم خير له ألف مرة من يبلغ الهـزة ثم الارتخاء من بعد ذلك والعدم. والمحب الحقيقي هو هذا الذي يستديم اللـذة في عدم تحقيقها، لان تحقيقها يعني أن حبـه جنسيـ وعـدم تحقيقهـا هـو الـذي يرفع حبه إلى مستوى العطاء. ونعلم أن المحب إذا يحب فإنمـا لانـه يجـد نفسـه فيمن يحبه، فهو في الحقيقة يحب نفسه في الأخر، وهو إذ يتوجه بالحب لنفسـه فذلك منه نرجسية، ولكنه إذا يتوجه به لاخر فذلك منه غيرية، غير انه أيضا وهو يعطي المحبوب يعطي نفسه لانه يرى فيه نفسـه، وبقـدر مـا يسـتمر ذلـك منـه بحيث يعطى على الدوام، فانه يبتعد بحبه عن اللذة إلى **السـعادة**، ولـذلك نجـد المحبين يستدعون هذه السعادة باصطناع **الهجـران** لـبعض الوقـت، لان الهجـران معناه عدم تحقق اللذة بالوصول، فيطول " **الاتجاه إلى** " ولا يكون اللقـاء. ثـم أن **الوصول** لا تكون له حلاوة إلا على أرضية من الغياب، بالإضافة إلى أن للانتظار أو للغياب أو" **للاتجاه إلى "** لذة أصلية، هي التي تشـكل صـميم الشـقاء في الحـب. ولعل ذلك هو سر ثراء الحب غير المتحقق الذي يكـون فيـه منـال المحبوبـة مـن المستحيلات، وفيه يقـترب سـلوك " **الاتجـاه إلى** " مـن الكـمال، فعندئـذ لا يكـون الحب إلا عملية " **اتجاه إلى "** دون أن

تشوبها أية مخاوف من بلوغ غاية العدم التي تهدد علاقة الحب العادي بالانقضاء. وشبيه بذلك الحب **الصوفي**، الذي هو معاناة، انتظارا لاتحاد لا يتحقق، ولكن الصوفي يظل يأمل فيه. والمحب غير المؤمل، والصوفي الذي يعيش على الرجاء كلاهما لذته أن يعيش التوتر الذي يهيئه له الحب المستحيل، ومن ثم يستحيل نعيمة إلى جحيم، كما أن جحيمه هو في ذات الوقت صميم النعيم، وهذا هو ما يسمونه **الجانب الجدلي في الحب**. غير أن **الحب المتبادل** هو أسمى آيات الحب، ولذلك قال البعض **بكوجيتو عشقي** كالكوجيتو الديكارتي، وبدلا من أن يقولوا مع ديكارت **أنا أفكر، فأنا موجود**، يقولون **أنا في حب حقيقي متبادل وإذن فأنا موجود**. وعندما يعثر المرء على هذا الأخر الذي يحبه ويبادله الحب، ويكون الواحد للأخر، فعندئذ يكتمل وجود كل منهما بالاخر، ويعيشان معا في حالة حب دائم، أي حالة **اتجاه كل منهما إلى الأخر**، وهذه هي **السعادة** وليست اللذة. ومع ذلك فان كل إنسان لا يمكن أن يعيش حياته في **المستوى النفسي-** البحت، وذلك لانه نفسي بقدر ما هو بدني، وهذه البدنية ستتدخل في الحب فتقويه في بعض الحالات، وتضعفه في حالات اخرى، وتهدده في حالات ثالثة، والحب حتى العذري ستغلبه البدنية البشرية بين حين واخر فيعيش المحبان الهزة التي ينقضي بها التوتر،

ولتنتهي بها دورة، وتبدا بعدها دورة أخرى، يستأنف بها الحب مسيرته من جديد دون توقف.

وقد يقال أن الحب **يتدعم** بالزواج وبالإنجاب، إلا أن التحليل للعلاقة بين المحبين قبل الزواج وبعده يتأدى إلى القول بوحدةٍ، عناصرها الرجل والمرأة فإذا جاء الولد فان الحبيبة تصبح اماً، ويصبح الحبيب أبا. وترى الام في ولدها صورة **العشيق الأمثل** الذي كانت تطلبه، وتربيه على هذه الصفة. ويرهص هذا الوليد أن يكون امثل تجسيد **للانيموس** في أعماقها، وبذلك يتراجع لديها الحبيب الزوج أمام طفلها. وبنفس الدرجة تبدو الطفلة الوليدة كتجسيد **للأنيما** في أعماق الاب، وتتراجع لديه الحبيبة الزوجة أمام هذه الطفلة، وتنفصم عرى الوحدة العشقية إلى وحدتين، إحداهما بين الأب وابنته، وتجمع الأخرى بين الام وابنها. وإذا جاز أن نقول أن **وحدة الزوج والزوجة** المحبين هي وحدة افقية، فان الوحدتين الجديدتين هما وحدتان راسيتان. وغني عن البيان أن أي علاقة بين الزوجين يكون فيها الزوج بالنسبة للزوجة بمثابة الحبيب والأب معا، هي وحدة تجتمع فيها الأفقية والراسية معا، وتظهر متماسكة وقوية. وكذلك الوحدة التي تكون فيها الزوجة بالنسبة للزوج بمثابة الحبيبة والام معا. وعلى أي الأحوال فان الزواج بعد الإنجاب يقلل الحب بين الزوجين المحبين، بما يتوجه من طاقة حيوية من أيهما إلى الأولاد. ويذهب البعض إلى

القول بأنه في الحب الذي يتحول إلى **أسرة**، يلد الحب نقيضه الـذي يـأتي عليه، ويسمون ذلك **بالتناقض الوجودي الجدلي بين الأبوة والأمومة وبين الأبنـاء**، والذي يبلغ ذروته في مراهقة الأولاد. وإذا كان الحب من الممكـن أن يجمـع بـين الزوج وزوجته في وحده، ومن الممكن أن يجمع بين أي من الأبوين في وحدة مـع الطرف المغاير جنسيا من الأبناء، فثمة **وحـدة ثالثـة** قـد تجمـع بـين الأخ وأختـه، فترى الأخت في أخيها كمال أبيها، ويـرى الأخ في أختـه كـمال امـه. وللوحـدة بـين الزوج وزوجته جانبها البدني والنفسي معا، إلا أن تحريم الام على الولـد، وتحـريم الأب على البنت، والأخ على اخته، يسلب الوحدتين الأخريين من الجانـب البـدني، ويجعل الولد والبنت والأخ والأخت يسعون للعثور على طرف بديل، يكـون لهـم بمثابة المقابل والمماثل معا، والذي به ومعه يكون الولد أو البنت في وحدة حـب، تمضي به أو بها مـن عشـق الام أو الأب إلى عشـق الأخـت أو الأخ، ثـم الى عشـق الحبيب أو الحبيبة، على نحو تصاعدي يرتقي بالطاقة الشـهوية اجتماعيـا، وذلـك ما تقضي به الضرورة الاجتماعية التي لا تغلق الأسرة على نفسها، وتتـيح الفرصـة للأسرة أن تتصاهر وتتناسل، ويقوم من وحداتها الاجتماع والمجتمع.

وقديما لم تكن الام والأخت محرمتين، الأمر الذي يجعلنا نقـول إن الرجـل ينطوي من حيث المبدأ على إمكانية الاتجاه الشهوي إلى

الأم، وإلى الأخت وإلى الابنـة، إلا أن الحضـارة التـي نعيشـها عـلى عكـس حضارة الفراعنة والآسيويين القديمة، قد أخضعت ذلك للكف وحرمته، ولهذا ترى الرجل والمرأة يعيشـان هـذه العلاقـات بصـورة بديلـة. وإننـا لـنرى ذلـك بصـورة مدهشـة في حيـاة **الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام**، فـالنظرة إلى الترتيـب الزمنـي لزيجاته يطلعنا على الانتقال من **الزوجة الأم** (السـيدة خديجـة)، إلى **الزوجـات الشقيقات**، وأخيرا إلى **الزوجة الإبنة** (السيدة عائشة). وإننا لنرى أن الحب الذي يقوم بين رجل وامرأة تكون فيه المرأة بديلا عن الأخت يقـوم عـلى المنافسـة بـين الاثنين ويشتمل على صراعات كالصراعات والمنافسة التي تكون بين الإخوة، وذلك نوع من الحب يبعد به عن أن يكتمل ويتوطد وينجح. وكذلك الحب الذي يكون بين الرجل وبديلة الأم، فإنه يفرض على الرجل سلبية لا تتفق مـع دوره الرجـولي. **والحب الكامـل** هـو الـذي يقـوم بـين الرجـل وبـين حبيبـة تكـون **زوجـة وإبنـة**، والزوجة الإبنة هي أكثر ما يناسب الرجل مسايرة مع طبيعته الرجولية، ونضـجه، ودوره القيادي في الحياة. وإن تحقـق البنـوة في الزوجـة يجعلهـا تتعلـق بـالزوج، باعتباره بديل الأب، فإذا التقـى هـذا التوجـه الأوديبـي بـين الـزوج الأبـوي وبـين الزوجة البنوية، فإن كلاً من الدورين يعزز الآخر، وبـذلك يكتمـل الحـب ويتأكـد وكذلك كان حب أعظم رجالات العالم،

وأعظمهم جميعا: **كان حب الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها وأرضاها.**

وينبغي التمييز بين الحب كعاطفة وبين أن يكون الحب علاقة بدنية، وذلك أن الإنسان هو كيان نفسي كما هو بدني، وتنتمي ظاهرة الحب إلى الجانب النفسي، بينما ينتمي الجماع إلى الجانب البدني. والحب كسلوك عشقي له هذه الاستقلالية النسبية وأن ظل مع ذلك وثيق الصلة بالسلوك البدني الجنسي. ومن الممكن أن يوجد **الحب العشقي** دون أن يتحقق في جماع شبقي. وكما أن وظيفة الفم الغذائية يمكن أن تصبح نفسيا المرحلة الفمية من التطور النفسي الجنسي، وكذلك وظيفة الإست الإخراجية، يمكن أن تصبح المرحلة الشرجية، فإن وظيفة **الفرج التناسلية**، يمكن أن تتحول إلى مرحلة عشقية، يتأكد بها الحب، ويصبح سلوكا نفسيا من غير أن تشوبه البدنية. ولذلك فإن هناك من يقول إن الرجل قد ينشئ علاقة له بامرأة على المستوى البدني، بينما تكون له على المستوى النفسي علاقة بامرأة أخرى. وكذلك الحال مع المرأة، بمعنى أنه لا خيانة في وجود علاقتين لرجل بامرأتين، أو لامرأة برجلين، وذلك طبعا من **الناحية الموضوعية البحتة وبعيدا عن الأحكام الأخلاقية**.

ويذهب بعض المحللين إلى القول بوجود مستويات في العلاقة بين الرجل والمرأة، فهناك المستوى الروحي، والمستوى العقلي،

والمستوى النفسي، والمستوى البدني. **والحب الأمثل أو الكامل** هـو الـذي يتحقق فيه الإشباع على كافـة المسـتويات السـابقة، فـإن كـلا مـنهما قـد يسـعى لاستكمال النقص خارج هذه العلاقة. وإننـا لنسـمع عـن أزواج متفـاهمين عقليـا ولكن الزوج أو الزوجة يجدان الراحة النفسية أو الإشباع الجنسي مع آخر.

وقد يتساهل المجتمع عندما يخون الـزوج، ولكنـه لا يتسـاهل إزاء خيانـة المـرأة، وذلك أنه مجتمع ينظر إلى الرجل باعتباره ذاتا، بينما المـرأة موضـوعا. والمـرأة مـا تزال في كل المجتمعات ملكية للرجل، وتنتسب إليه، ومن ثم فخيانتها هي إهدار للملكية، واعتـداء عـلى حـق مـن الحقـوق الثابتـة والتـي يقـوم عليهـا الاجـتماع الإنساني حتى الآن. ومن ثم يذهب بعض المفكـرين إلى اعتبـار **غـيرة الحـب مـن مقولة الملكية**، وليس لها دخـل بالحـب نفسـه. ولكننـا نـرى في نفـس الوقـت إن الغيرة لا تكون من الرجل فقط، فهي عند المرأة أيضا، والغيرة باعتبارها خوفا على موضوع نفيس نملكه ولا يمكن تعويضه أو باعتبارها شعورا يُستنفَر لدى الشخص ويدفعه للدفاع عما يملك ضد إمكان أن يغتصبه الغير، قد لا تكون لدى المـراة، او قد توجد على المستوى المـادي عنـد الرجـل وحـده. ولكـن الغـيرة عـلى **المسـتوى النفسي** توجد عند **الرجل والمرأة** على السواء، وهي على هذا المسـتوى قلـق عـلى الموضوع، ففي علاقة الحب الأمثل يكون **الرجـل ذاتـا وموضـوعا**، وكـذلك المـراة، بمعنى انه

يحب باعتباره ذاتا، وهو أيضا محبوب كموضوع، ومن ثم ينتاب خوف من أن يفقد الموضوع الذي هو ذات في نفس الوقت، وله مقوماته التي تشد الذات الأخر إليه. وبينما نجد أن الغيرة على **المستوى المادي** تنتمي إلى مجموعة المخاوف التي تسيطر على الشخص في المرحلة الفمية، وتدفعه إلى السلوك السادي باعتبار الخوف هنا هو خوف الذات أن تفقد موضوعا تملكه وتعتبره من امتداداتها، فان **الغيرة على المستوى النفسي**- تنتمي إلى مجموعة المخاوف من المرحلة الشرجية حيث يكون الظهور الأول للعطاء في حياة الطفل، وحيث يتخذ التهديد صورة إفراغ الذات من محتوياتها، أو إفراغ الأحشاء. ولعل هذا هو ما يفسر ما تستشعره الذات في حالة القلق الخاص بالحب على المستوى النفسي من أحاسيس **انتزاع الأحشاء**. ويعبر العطاء الذي هو خاصة هذا النوع من الحب عن نفسه في شكل **اسهال وقيء** ينتاب الشخص الذي يستبد به القلق من فقدان محبوبه، وفقدان المحبوب لا يعني هنا فقدانا لموضوع نملكه، ولكنه يعني **ضياع الذات** وانعدام الوجود بالنسبة لها. **والخيانة في الحب على هذا المستوى** تحمل كل معاني ودلالات التهديد للذات، والقلق الذي تستشعره الذات إزاء الخيانة هو قلق قوامه التهديد لوجودها.

والبُغض نقيض الحب، ويعني النفور من شخص ما أو موضوع بعينه، وقد يدفع ذلك إلى إلحاق الأذى به أو الاعتداء عليه

مجازا أو على الحقيقة. والبُغض قد يعني أن الموضوع قد استحال على المُبغِض، وهو يبغضه لانه قد ترفع عليه، أو لانه قد جعله يحس بأنه اقل منه، ومن ثم يكون البغض نوعا من الثار يوقعه المبغض بموضوع البغض، أو ضربا من الدفاع، يدفع به المبغض عن نفسه انه أدنى من الأخر، أو اقل شانا.

والبغض عند فرويد من فعل الغرائز العدوانية أو غرائز الموت، بينما الحب بتأثير الغرائز الجنسية، ومن ثم فالحب بناء والبغض هدام. والبغض موجود على المستويات الثلاثة للجهاز النفسي، فهو في مستوى **اللاشعور** دافع عدواني، وفي مستوى **الأنا** هو شعور يحس به المبغض، وقد يدفعه على وعي منه إلى ما من شانه أن ينتقص من الأخر ماديا أو معنويا، وفي مستوى **الأنا الأعلى** يتوجه إلى ذات الشخص وتصدر عنه مشاعر الذنب والنقد.

وتتفاوت الشعوب في الحب، وقيل أن **المرأة الفرنسية** تمارس الحب على طبيعتها ولا تستنكف أن تظهر عواطفها جهارا من غير حياء. وقيل أن **باريس** هي المكان الوحيد في العالم الذي يمكن فيه أن يتعانق العاشقان دون أن يلفت ذلك المارة، على عكس **إسبانيا وإيطاليا** حيث ما تزال المرأة يحمر وجهها حياء، ويمكن أن يثور الرجال للشرف ويتقاذفون بالرصاص. وقيل انه لهذا السبب كانت **الكوميديا في فرنسا عن الحب**، بينما لم يكتب في الحب في **إسبانيا**

وإيطاليا إلا في **المآسي**. وأما في **ألمانيا** فالحب كما يقول شعراؤهم يورث الهم، والهم يعني الحرمان والعذاب، وعندئذ يكتب الناس الشعر، واروع الشعر الألماني عن الحب، **والمرأة الإنجليزية** كالألمانية تقدر الكلمة كرسول للغرام ولكنها لا تعرف الحرمان. وهي اقل رقة من الألمانية، ومعنى ذلك أنها عملية اكثر، ولعل هذا هو سبب نجاح الإنجليز في التجارة والمال عن الألمان. والحديث عن الإنجليزية يجر إلى الحديث عن **الأمريكية**، وهي اقل نساء العالم الغربي معرفة بالحب، لان المبادئ الأمريكية في الحياة هي الحركة والتقدم والنجاح، وهي أمور تناقض نشوء الحب ولا تلائمه. ولعل خير أنواع الفلسفة التي تصدر بحق عن الثقافة الأمريكية هي **البراجماتية**، وهي فلسفة عملية ومن ثم كانت الأمريكية براجماتية. وهي تجرب الحبيب وقد لا يعجبها من بعد، وقد تتزوجه وسرعان ما تطلب منه الطلاق، وتعد أمريكا من أعلى دول العالم في معدلات الطلاق. والأمريكي من اكثر الناس سذاجة في أمور الحب، واشدهم جهلا في مسائل النساء. وليس اسهل على الأمريكي أن يتوجه مباشرة إلى دعوة المرأة التي يريدها إلى المضاجعة.(**الحياة والحب، تأليف اميل لودفيج**).

والحب عند العرب يختلف عنه عند الغربيين، وهو عندهم قد بلغ من الفن درجة يتجاوزها أي وصف. وبينما لا نجد في كل لغات العالم للحب إلا **كلمة أو اسما واحدا** (في الإنجليزية **love** ، وفي

الفرنسية **amour** وفي الإيطالية **amore** ، وفي الألمانيـة **liebe**) نعـثر في **مخصص ابن سيده** على **أربعة عشر** اسـما لـه، فهـو العشـق، والعلاقـة، والولـوع، والهوى، والجوى، واللعج، والشغف، والتيم، والتبـل، والتدلـة، والهيـام، والصـبوة، والوجد،، والغرام. وليس في أية لغة أخرى مـا يضـاهي هـذه الكـثرة مـن الأسـماء للحالات النفسية المختلفة للحب، والتي تدل على دراية وعلم بها عنـد العـرب لم يتسن لغيرهم مـن الشـعوب. وفي **مخصـص ابـن سـيده** أبـواب لصـفات وأسـماء أعضاء الذكورة والأنوثة، ونعوت النسـاء في الجـماع، وذلـك دليـل انشـغال بـأمور الحب الجسدية وغير الجسدية لم نعرفه في ثقافة أخرى مـن الثقافـات. ولـيس في الثقافات الأخرى بقدر ما في الثقافة العربية من أوصاف لحـالات **الوجـد الصـوفي**، وليس فيها هذا الكم الهائل من **المتصوفية وشعراء الصوفية**.

ولقد حاول **فرويد** أن يتصـدى بالشرـح للحـب الصـوفي فخـصّ مشـاعره بوصف **المشاعر الأوقيانوسية أو المحيطة** وهي نـوع مـن الفيوضـات الوجوديـة، تشتمل المرء حتى ليشعر بنفسه وقد وسع كـل العـالم مـن حولـه والوجـود كلـه. وتطلق الصوفية على ذلك اسم **الاتصال** حينا، و**الاتحاد** أحيانا، فأمـا **الاتصـال** فـإن الصوفي به ينفصل عن نفسه إلا عن الوجود بعامة فيرى نفسـه فيـه، ويقـول إنـه يرى نفسه في اللـه، ولا يرى ولا يسمع إلا اللـه ولا يشهد سواه، ولا يتصل بسرّه

خاطر لغيره، وأما **الاتحاد** فهو الفناء في الوجود عما سوى الوجـود، حتـى أن الصوفي لا يرى في نفسه غير اللـه، وقـد يصـبح كـما فعـل الحـلاّج أنـه اللــه، بمعنى أنه قد فني عن الأوصاف النفسية ولم تبق له إلا الأوصـاف الكليـة.ويقـول فرويد إن **الشعور المحيط** فطري لدى البعض، وبينما ينضج الغالبية مـن الأطفـال بحيث يقوى فيهم الأنا، ويحبون موضوعات بعينها، فإن البعض الآخر وهم القلـة يتوجه حبهم إلى الناس جميعا، والعالم كله، والوجود بأسره. وهذا الحـب أو تلـك المحبة للآخرين، ولكل ما سوى أنفسهم، هو أصل ما يعـرف باسـم **الخـير والحـق والجمال**.

ويقول **فرويد** إنـه بيـنما يقـوم الاجـتماع الإنسـاني عـلى هـذه العلاقـات الجزئية بين الأفراد مـن الجنسـين، وبهـا يسـتمر النـوع الإنسـاني ويكـون التناسـل والتكاثر، وذلك أصل ما يسمى **بالعائلة**، وهو نهج الغالبية في الحياة، فإن الـبعض قد يسمو بغرائزه الجنسية، وبدلا من أن تتوجه محبته لموضوع بعينه، يتصـل بـه ويتناسل، فإنه يوزع محبتـه عـلى أكـثر مـن موضـوع، وينشرـها دعـوة، ويجـد في دعوته وشعوره الفياض الغـامر للجميـع وللإنسـانية برمتهـا تحقيقـاً لمبـدأ اللـذة، فلذته هي في **التعشق لخير الناس**، وهو يهب الناس حياته، ويتوقف على نفعهـم نفسه، وذلك **أسمى ما يمكن أن ترتقي إليه الغريزة الجنسية.**

ويفسر **كورت ليفن** الشعور المحيط أو الأوقيانوسي بأن الأنا فيه لم تنفصل عن العالم الخارجي، بحيث ما يزال الشخص يرى نفسه في هذا العالم، ويردّ ربما إلى تجارب الطفولة الأولى، على الرغم أن الشخص في طفولته لم يحقق لنفسه فطاما عن ثدي أمه، فما يزال مرتبطا بهذا الثدي، ويرى نفسه وهذا الثدي واحدا، ثم إنه **يستبدل بالثدي العالم** ويتوحد به.

وقيل إن الشعور الأقيانوسي مصطلح حديث، فالأقيانوس أو البحر المحيط والإبحار فيه، ومعاناة مثل هذا الشعور بالنسبة للمسافر عبره، لم يكن إلا مؤخرا في عصر المراكب الكبيرة، وأما في الماضي فلم يكن هذا الشعور يتسنى لأن يخبره سوى المسافر في **الصحراء**، حيث الامتداد والسعة، والتهيؤ للنفس أن تشعر بهما، أو كما يقول أهل الاصطلاح حيث تتسع الأنا وتكبر وتمتد لدرجة أن تحتوي العالم والوجود بأسره. وذلك فإن الديانات الكبرى نجدها قد نشأت في **الصحراء** وحولها، ومن ذلك ديانة إبراهيم، وموسى ومحمد عليهم السلام.

الغزل الجنسي عند الحيوان والإنسان

للعمليـة الجنسـية **دورة** تكـون فيهـا البدايـة، حيـث تكـون لأحـد أفـراد الجنسين ملامح وصفات جنسية تستهوي فردا من الجـنس الآخـر، بـزعم أن هـذا الآخر له صورة مثلى لما ينبغي أن يكـون شريكـه في الجـنس. والملامـح والصـفات تسـتثير الصـورة الذهنيـة، وتقـع المحبـة باسـتثارة هـذه الصـورة، فيكـون **الغـزل الجنسي** وهو محاولة استمالة، فإذا نجحت وكانت ملامح هذا الفرد أيضا موافقـة لصورة مثلى عند الطرف الآخر فإننا نقول إنه قـد حـدث **تـراض جنسي**. والغـزل عنـد الإنسـان ربمـا كانـت وسـيلته الصـوت، أو الرائحـة، أو الحجـم، أو الحضـور النفسي. **والحضور النفسي الجنسي** هو ميزة للإنسان، وذلك أن الغزل في الكائنات الحية له كل الوسائل السابقة إلا الحضور النفسي، والحضـور النفسي للـذكر هـو ذكورته وفحولته. والحضور النفسي للأنثـى نحـس فيهـا بأنوثتهـا طاغيـة، بحيـث تكون هي العنصر الغالب في الموقف النفسي الجنسي الذي يضـم الرجـل والمـرأة. وفي الغزل الجنسي **عند الحيوان** تكون الملاعبة والملاطفة، ثم تكون علاقة الـتراضي الجنسي أن يلتقي الكائنان الذكر والأنثى في موقـف التهيـؤ للسـفاد. وفي الإنسـان يكون التراضي الجنسي، بالملامسة، ثم الاشتباك،

فالتهيؤ للجماع، بمقابلة الفم للفم، والفرج للفرج، فإذا كان الإيلاج تكون المرحلة الثالثة وهي **المواقعة**.

وفي علم الجنس الذي يتناول الجنس عند البشر تولي مرحلة المواقعة كل الأهمية دون المرحلتين الأخريين، وذلك لأنها المرحلة التي يحدث فيها الحمل، ولها مترتباتها ونتائجها وبحوثها في الإخصاب والإجداب، وفي حالات استخدام موانع الحمل، وعند الولادة والنفاس، ولذلك فقد فصلت عن المرحلتين السابقتين لها واللتين جرى عليهما **المنع والحظر والتحريم**. ويحاول العلم الحديث إخضاع المرحلتيين السابقتين للدراسة والقياس، وخاصة المرحلة الثانية وهي **مرحلة التراضي الجنسي**، حيث أن الجنسين ربما يتراضيان، وتبدأ المواقعة ولكنها لا تتم لسوء وظيفة له أسبابه النفسية، ومن ذلك قمطة المهبل النفسية، وسوء الجماع، والبرود الجنسي عند النساء، والقذف المبكر، والعُنّة، واللاإنعاظ عند الرجال، وأغلب الاضطرابات الجنسية في مرحلة التراضي الجنسي، وأقلها في مرحلة الغزل، التي تعاق إذا كان الذكر أو الأنثى يعانيان من فوبيا جنسية، كالخشية من الذكور او من الاناث، او من الجماع، او من الحمل. ومرحلة الغزل، وان كانت الدراسات قد بدأت تتناولها، واشهرها **دراسة كينزي حول السلوك الجنسي عند الأنثى وعند الذكر**، إلا أن القول الأكثر فيها هو موضوع **للأدب وخاصة الشعر**.

والغزل في الكثير من الحيوان والطيور وسيلته الفم أو الأنف أو المنقـار. والحيوان في الدورة النزويـه تفـرز الإنـاث مـادة لهـا رائحـة، وتصـدر عـن الفـرج فيتهيج الذكر بتشممها. وحتى لو كان الذكر عـلى مسـافة، فـان الرائحـة تجذبـه، ولعل ذلك يفسر لنا تجمع ذكور الكـلاب والقطـط مـثلا خلـف الإنـاث في موسـم التزاوج. وتفعل أنثى الإنسان نفس الشيء تقريبا، وتستخدم العطور القوية لتشـد بها حاسة الشم في الذكور، ويعرف أصحاب مصانع العطور التأثير الجنسيـ القـوي للعطور، فيطلقون عليها أسماء جنسـية مثـل شـذى الليـل، والجاذبيـة، والجـنس، والحب. ولا يـدري علـماء الجـنس في الحيـوان سـبب اختيـار الأنثـى لواحـد مـن الذكور دون بقيتهم، وان كان هذا السبب في الإنسان مفهوما بعض الشيء ولـيس في كل الأحيان. ولأنثى الإنسان رائحة خاصة، وكذلك لفرجها رائحة خاصة مهيجـة للـذكر. وكـما تختلـف الأجنـاس في رائحـة العـرق تحـت الإبطـين مـثلا، فالنسـاء يتخالفن كذلك وان كان هناك إجماع على الرائحة الأنثويـة. ولعـل هـذه الرائحـة الأنثوية هي التي يشتد تشممها ببعض الذكور، وتكون خاصـة لهـم حتـى ليبـدو غرامهم بالروائح الأنثوية كالشذوذ، وقد يشذ الرجل فيكون به شبق حتى لرائحة بول الانثى، وللعرق تحت إبطيها. وبعض الرجال يحبـون لعـق هـذا العـرق، ولـه لديهم رائحة وطعم مهيجان.

والتقدمة الجنسية هي الاسم العلمي الذي يفضل اسم **الغـزل الجنسيـ** حيث الغزل هو باب من أبواب الشعر، أو انـه اسـم ادبي ولا يتضـمن الإيحـاءات العلمية. وفي **التقدمة الجنسية** يمكن أن تطول وقفة الـبعض، حتـى ليجعـل منهـا غايـة في ذاتهـا، وقـد يـنعظ اثناءهـا الرجـل أو المـرأة عـلى السـواء، وذلـك مـن الانحرافات الجنسية. ومن ذلك أن تتركـز الاسـتثارة والتهـيج في **الشـفتين**، فيكـون التقبيل العميق أو اللعق والمص، أو تتركز في **النظر** فيكون شذوذ التنظّر الجنسيـ وهو يفضي أيضا للأمناء بدون ايلاج. وللغـزل أو التقدمـة الجنسـية **لغـة** بالجسـم كما بالكلام. ويبدو انه في التقدمة تكون أعضاء الحس بالوجه أهم مـا يسـتخدمه الحيوان والإنسان، وتأتي **العينان** في أول الترتيـب قبـل الفـم أو الأنـف، وللعينـين ميزة النظر عن بعد، ابعد من قدرة الأنف على التشمم. ومـن الثابـت **أن الـذكور لديهم النظر الجنسي أقوى** من الإناث، **والإناث أقوى فيهن حاسة اللمس**، ولعل ذلـك هـو مـا يجعـل **التصـور** لـدى الـذكور، وخاصـة في أحـلام اليقظـة والأحـلام الجنسية شديدا، بحيث يمكن أن يمنى الذكر وخاصة في البلوغ والمراهقة. والرجل يرى المرأة عن بعد فيشده منظرها، فيقترب، فتكـون الأذن والأنـف وسـيلة إليهـا من صوتها ورائحتها، فكأن المرحلـة الأولى في التقدمـه هـي **الإغـواء**، **فالانجـذاب**، **فالغزل**، وفي الغزل يتوسـل الاثنـان بـاللمس. ولكـل مرحلـة مواضـع القـوة حتـى الشذوذ، أو الضعف حتى

الشذوذ كذلك، فمن القوة الشاذة أن التقدمة قد تفرط وتزيد عن الحد، فيتجاسر الذكر على اللمس مرة واحدة ويتجرأ على الأعضاء التناسلية من غير أن يجد الدعوة المعهودة عند الأنثى، وهذا الإفراط في التقدمة الجنسية قد نجده عند الذكر، وفي أحوال الغزل بين الذكور للذكور، أو بين الإناث للإناث، أو بين الجنسين.

وإفراط التقدمة، أو التعجيل في المقدمة، من سمات مرحلة المراهقة بالمقارنة إلى سنوات العمر التالية، والمراهق يتهيّج بسرعة، ويريد أن ينتهي من المقدمة بسرعة، ليجامع مباشرة. والمراهقون من هذا النوع يتهيجون من مجرد التفكير في الجنس، أو لدى رؤية فتاة أو امرأة تستثير خيالهم. **والخيال الجنسي** عند المراهقين من النوع المفرط في الاستثارة، وقد تستثيره **أسماء** لها عندهم دلالات جنسية، مثل بغى، ومومس، وليلة حمراء، وموعد غرامي، وجلسة غرامية إلخ، وكلها ألفاظ مفرطة الاستثارة الجنسية.

والنقيض لفرط الاستثارة أو فرط الجنسية في المقدمة هو **العطالة الجنسية عن الاستثارة وعن التجاوب الجنسي** وتكون هذه العطالة الجنسية عند النساء والرجال على السواء، ويبدو الرجل العاطل عن الاستجابة عزوفا لا يتأثر بأي استثارة. وتختلف العطالة من رجل إلى رجل ومن امرأة إلى امرأة، وهي شائعة مثلاً بين المرضى بزملة كلا ينفلتر، ونقص النخامية، نتيجة نقص إفراز الهرمون

الجنسي. وقد يبلغ الصبي ولا يعرف الإمناء، ولا يهمه أن يعرفه، ولا يجرب الاستمناء نتيجة هذه العطالة الجنسية فيه. وهي عرض أوليِ من أعراض الإصابة بالاكتئاب، والاكتئاب سوء وظيفة كيمائية حيوية بالمخ، ومنه الاكتئاب النفسي حيث يعاني المريض من **انحطاط معنوي**، يترتب عليه العزوف عن الطعام وعن النوم، **وعن الجنس** خصوصا.

الغيرة الجنسية

تعنى الغيرة أشياء كثيرة، فهي **أولا** الرغبة في الاستئثار بشخص المحبـوب، والخوف من فقده، بأن ينصرف بعواطفه إلى آخر يُؤثره عليه، وفيها لـذلك ترقـب الهجر، والعتاب الكثير، والارتياب، وهي **ثانيا** كراهية للمنافس أو العشـيق، وهـي **ثالثا** إحساس من الشخص الغيور بأنه أقل شـانا مـن هـذا المنـافس، وإقـرار منـه بحق المحبوب أن ينصرف عنه.

والغيرة غالبا لا أساس لها مـن الواقـع، إلا أن **الغيـور شـخص غـير ناضـج الأنا**، ووعيه يعجز عن أن يدرك حقائق الموقف، وهـو يميـل إلى تضـخيم شـكوكه بالتهويـل مـما يلاحظـه، وذهنـه ينصرـف إلى أشـياء معينـه في سـلوك المحبـوب، يفسرها على هـواه لأسـباب في نفسـه، وربمـا كانـت بـه ميـول ماسوشـية فيشـك ليتعذب، أو لأنه يستشعر النقص وعدم الكفاءة، وقد يكـون استشـعاره للعـذاب هو غاية ما ينشده من الغيرة. وربما تكون الخيانة في الغيور نفسه، فيسقطها على المحبوب وينسب إليه ما فيه، وفي **الغـيرة المسـقطة** مـن هـذا النـوع، قـد يقصـد الغيور بإلصاقه تهمة الخيانة بالزوجة أو الحبيبة، أن يدفعها إلى سلوك تتحقق به غيرته، وقد تكون **غيرته مزدوجة**، بمعنى أنه يبدي الغيرة على

الزوجة مثلا، شعوريا، بينما لا شعوريا يغار منها، لأنها استطاعت أن يكون لها عشيق أو محب كهذا العشيق أو المحب، وهو لا يمكن أن يستشعر هذه الغيرة المزدوجة، إلا إذا كانت به ميول لوطية، فيريد العشيق لنفسه، مثلما هو لزوجته.

والغيرة عندما تزيد قد تكون ظاهرة مرضية، **وهذاء الغيرة** من الاضطرابات العقلية، وهو اعتقاد جازم لدى أحد الزوجين بأن زوجه يخونه، وأكثر ما يشاهد المرضى به في حالات **الإدمان الكحولي**، فيلاحق الزوج مثلا زوجته بغيرته، وربما ليخفي بها عزوفه عنها بسبب عجزه الجنسي، وفي حالات **هذاء المحبين** تتوجه اتهامات الزوج لزوجته بالخيانة،بتأثير ميوله الجنسية الشاذه التي يرفضها وعيه، فيتهم بها زوجته، وكأنه يقول لها لست أنا الذي يرغب في هذا الرجل جنسيا، ولكنه أنت.

وللغيرة عند **فرويد** مستويات ثلاثة لا يختلف كثيرا عما أسلفنا، فهناك **الغيرة التي أساسها المنافسة**، بتأثير خبرات الطفولة من المرحلة الأوديبية، حيث يتنافس الطفل مع أبيه على الاستئثار بالأم من ناحية، وحيث يتنافس مع اخوته على أن يكون أثير الأبوين من ناحية أخرى. والرجل الغيور قد يكون له هذا الماضي من الطفولة ويستمر معه في الرجولة، وهو يكره الرجل الذي ينافسه على امرأته، وفي نفس

الوقت يكره امرأته لأنها قد نجحت أن تستهوي رجلا غيره تخصه بحبها عنه.

ويقول فرويد **بالغيرة المُسقَطة**،وتكون بالبعض بتأثير الخيانة التي يستشعرونها في أنفسهم، ولكن وعيهم ينكرها فيزيحونها إلى الزوجة، ويسقطونها عليها وينسبون الخيانة لها.

والمستوى الثالث للغيرة عند فرويد هو **الغيرة الهذائية** ولا تكون إلا في حالات الأزواج الذين بهم جنسية مثلية كامنة، فإذا دخل الزوج الإعجاب برجل، فإنه يلفق المواقف ليوقع فيها زوجته، ويتهمها قسراً بأنها تخونه معه، أو أنه يعجبها وتتمناه، وهو في الحقيقة الذي يرغب فيه، ولكنه يعكس ذلك وينسب لامرأته ما يستشعره في نفسه تجاهه على الحقيقة.

ومن رأي **فرنزي** أن الغيرة تستوجب مواقف أبطالها ثلاثة، هم **المحب، والمحبوب، والعشيق أو العشيقة** الذي يشكل الطرف الثالث. وليس شرطا أن يكون الثلاثة من البالغين، فالولد الصغير قد يغار من أبيه عندما تؤثره أمه دونه بفراشها، وقد يسره أن يراها سعيدة بوجود الأب معها، ويتمثل سعادتها ويستشعرها، إلا أنه يظل يعاني إحساس الغيرة المؤلم ولو لم يُفصح عنه.

والغيرة موضوع مطروق في **الأدب**، وكانت مدار روايات ومسرحيات عظيمة لأدباء كبار مثل **تولستوي وشكسبير**، ولعل

مسرحية **عطيل** من الأعمال الكبرى التي تقـدم نموذجـا رائعـا لأخلاقيـات الغيور، والموقف من الحياة التي أبطالها الثـالوث الأزلي مـن **المحبـوب والحبيـب والمنافس**، على أن أديبا مثل برنادرشو لم يكن يـرى في **أدب الغـيرة** إلا صـورة مـما يطلق عليه اسم **الجرائم العاطفية**، أي التي تدفع إليها الغيرة.

والغـيرة العاديـة مطلوبـة، والإنسـان قـد شرف بـالتكليف دون سـائر المخلوقات، واختُص بالشرف، وكانت له القيم والأخلاقيات، وهو لذلك يغـار عـلى أهل بيته، وإلا كان كالحيوانات، ومع ذلك فهنـاك مـن الحيوانـات مـا يغـار عـلى أنثاه، والكثير من الحيوانات يموت في سبيل أن يمنـع غـيره مـن الـذكور أن يطـول أنثاه أو إناثه، وإذن فقد تبدو **الغيرة فطرية** في الإنسـان وفي غـير الإنسـان، وهـي تتطور في الإنسان وتكون لها معه شأن آخر، وتظهـر عنـد الطفـل مبكـرة في نحـو **السنة الثانية**، وتتضح أكثر ما تتضح إذا جاء طفل آخر ينافسـه عـلى أبويـه، وقـد يكره الطفل أخاه المولود حديثا عندما يراه يستحوذ على رعاية أبويه دونـه، وقـد يتوجه إليه بالعدوان، أو قد يرتدّ في السلوك ويتصرف بمـا يناسـب مرحلـة أسـبق من العمر، فقد يُتهته أو يبول عـلى نفسـه، أو يكـثر مـن البكـاء، في محاولـة منـه ليلفت انتباه الأبوين، بدعوى أنه قد صار مثل أخيه الصغير. وقد يتحدث كأخيـه، أو يمص إبهامه. وفي مثل هذه الحالات يستحسن أن تُزاد له الرعاية بحيث يفهـم انه

كبـير عـن أخيـه، وأن مجـيء هـذا الأخ لم يقلـل مـن حـبّ الأبـوين لـه، بالإضافة إلى إشراكه هو نفسه في العناية بأخيه، دون أن يكلف بـذلك، بـل ينـاط به هذا العمل كمساعدة منه للأم. ولا ينبغي أن يُحادث كثيرا بشان مجـيء هـذا الطفل طوال الحمل، وإنما قبل الولادة بمدة قصيرة.

والطفل في المدرسة يغار على صديقة من زملائه، ويحاول ان يسـتأثر بـه دونهم، وأن يستميله إليه، وينقـد الآخـرين أمامـه وقـد يتوجـه إلـيهم بالعـدوان ليبعدهم عنه. وفي البيت قد يغار الطفل إذا رأى الأبـوين يظهـران اهتمامـا أكـثر بأحد إخوته فيما يسمى **غيرة الأشقاء**، كما فعل **إخوة يوسف**، ولقـد تـآمروا عـلى يوسف، وادعوا موته ليخلص لهم وجه أبيهم.وكذلك قد يغـار الطفـل الـذكر مـن أبيه، وتغار البنت من أمها. وعموما فإن الغيرة تنمو في البيـوت التـي يفـرق فيهـا الأبوان في المعاملـة بـين أبنـائهم. وقـد تكـون الغـيرة دافعـا إلى أن يسـلك الغيـور بعدوانية أو بعناد، كما قد تكون أيضا دافعا له إلى أن يسلك بالطريقة التي ترضى من يحبهم وتستميلهم إليه، فيزيد من تحصيله، وتكون الغيرة طريقا إلى التفوق.

البنات وحمرة الخجل

تستشعر البنات الخجل لسبب أو لآخر، فتحمر وجوهن. ومن الناس من الجنسين من تلازمه **حمرة الخجل** باستمرار، وهي **استجابة جلدية** تحدث تلقائيا عند البنت والولد، ودون وعي من أيهما بما يحدث لوجهيهما، في المواقف المخزية التي يستشعران إزاءها الحرج، وبالطبع تختلف هذه المواقف بحسب الجنسين ونوعية الخبرات عند كل منهما، وبحسب السن والثقافة. وأكثر ما تكون حمرة الخجل **بالوجه**، وهو الجزء من الجسم الأكثر تعرضا للمطالعة من الناس. وتختلف المساحة التي تشملها الحمرة من الجسم، بحسب حساسية الشخص والموقف الذي يحتويه، فإذا كان الشخص مفرط الحساسية ويحس بالخجل أو الخزي الشديد، فإن الاحمرار قد يمتد إلى الرقبة والصدر الأعلى والكتفين. وقلما تحدث حمرة الخجل في المواقف التي لا يكون فيها من يطالع الشخص الذي تأتيه هذه الاستجابة، كأن يكون حديثه إلى الآخرين في التيلفون، أو يكون الموقف في الظلام، فبرغم وجود ما يستثير الشعور بالخجل، إلا أنه لا يحس به لو تحدث في التلفون، أو كان حديثه للآخر في الظلام، وهذا دليل على أن حمرة الخجل **استجابة هستيرية من النمط التحولي**، بمعنى أن الخبرة

الانفعالية التي قد نتعرض لها جميعا قد يحس بوطأتها الشخص العادي، إحساسا يترجمه إلى اللغة العادية سواء بالكلمة أو الحركة، وأما في حالة **الخجل الهستيري** فأن المصاب به لا يأتي هذه الاستجابة إلا في حضور الآخرين، وتكون معه بشكل مغالى فيه، بحيث تكون من سماته الظاهرية التي تلفت إليه المحيطين به، ويعرفونه بها. ولربما تكون هناك علاقة بين الحساسية المفرطة للضغوط وبين الاضطراب. وكان دارون يقول إن الاحمرار قد يأتي الذراعين والبطن، وخاصة المناطق من الجسم التي لا تكتسى بالملابس، أي الأجزاء المعرّضة للنظر من الآخرين، وحساسيتها مرتبطة إذن بأنها منظورة. ومع ذلك فحمرة الخجل قد نستشعرها جميعا بشكل سوي، ونعبر بها أحيانا عن معاناة حقيقية نحس بها، واما إذا كان الشخص يأتيها دون وعي ولا معرفة بأسبابها فإنها غالبا **عَرَض تحولي**، يُستحدث بمقتضى ما يسمى **التكوين الوسطي**، أي أنها تتوسط بين الرغبات اللاشعورية المحظورة التي تريد الظهور والتحقق، وبين العقاب الذي يستنزله الشخص بنفسه بسبب هذه الرغبات.

وقيل في تفسير الحمرة إنها **تعبير عن الهياج الجنسي**، وقد أزيح من مكانه الأصلي وهو الأعضاء الجنسية، إلى الوجه باعتباره أكثر أجزاء الجسم انكشافا، في مقابل الأعضاء الجنسية وهي أكثر أجزائه استتارا.

وقيل إن الخوف القديم الذي كـان في الطفولـة مـن الخصـاء قـد يكـون أصل هذه الحمرة، فكلما تستبد بالشخص رغباته الجنسية، قد يسـتثير فيـه ذلـك الخوف من الخصاء، الذي كان يتهـدده بـه أبـوه وهـو صـغير، والـذي نسيـ أمـره وكَبَته ولم يعد يدري بتأثيراته اللاشعورية، فيعبر عنها بهذه الحمـرة تأتيـه مُزاحـة من أعضائه الجنسية، ويصاحبها ذلك الخوف وهي الدليل على القلق الذي يبـدو عليه صاحب هذه الاستجابة.

وقيل في تفسـير حمـرة الخجـل أيضـا أن أكـثر مـا يـدفع إليهـا رغبـات لا شعورية أو تطلعيـة، ودوافـع عدوانيـة، تجعـل الشـخص يستشـعر الخـزي منهـا والخجل.

وقيل إنها دليل على أنا أعلى قوى، له فعله الملموس، فهو دائمـا بالمرصـاد لأي رغبـات محظـورة، ويـدفع بصـاحبها إلى الإحسـاس الشـديد بـالخزي منهـا وبالخجل لها.

وقيل إن الذكور الذين يستجيبون بحمرة الخجل يكونون غالبـا متعينـين لا شعوريا بأمهاتهم بدلاً من آبائهم، وهـي الظـاهرة التـي يطلقـون عليهـا **عقـدة أوديب السلبية**، ومن شأن ذلـك أن الطفـل يـتقمص أفعـال أمـه بـدلاً مـن أبيـه، ويسلك سلوكها، ويسـتجيب مثلهـا في المواقـف المخزيـة أو المخجلـة، بـأن يحمـرّ وجهه، وينشأ على ذلك.

وقيل أيضا أن البعض الذين يعانون من حمرة الخجل، بسبب أنها تكشف عما يستشعرون الخزى منه أو حتى تفصح عن غضبهم، قد يحاولون أن ينزلوا العقاب بأنفسهم لا شعوريا بسبب هذه الحمرة التي تعلو وجوههم والخوف من أن تفضح نواياهم، وبدلاً من أن يخجل، المريض من نفسه بسبب مشاعره الدونية، فإنه يخجل لأنه يستشعر الخجل، ومن ثم يحاول أن يتحاشى اية مواقف يمكن أن يعاني منها هذه الصراعات، ونتيجة لذلك فقد تتحول عنده الاستجابة التحولية إلى **فوبيا أو رهاب** يخشى معه مواجهة المواقف التي تستحدث فيه حمرة الخجل ويتحاشاها قدر ما يستطيع.

انتحار المحبين

كثيرا ما يحاول النساء والرجال الانتحار بسبب المشاكل العاطفية أو الجنسية، وتدل الإحصائيات على أن **محاولات الانتحار بين النساء أعلى** منها بين الرجال، ولكن نسبة ما يتحقق منها بالفعل أعلى بين الرجال منها بين النساء.

والانتحار ظاهرة حضارية شاعت في البلدان التي أخذت بأسباب الحضارة، وهو سلوك مُعدّ يقلده البعض، والبعض يرى نفسه في أن ينتحر وقد ينهج على نهجه ويكرر ما يسمعه أو يراه من منتحر. وبعض الناس لهم من مَلَكه التصور بحيث يرون الأمور، ويعايشونها في نفس الوقت بوجداناتهم وعقولهم ومشاعرهم، فيضيفون عليها، ويزيدها خيالهم، وتأسرهم حكايات المنتحرين فيفعلون فعلهم. وليس هناك أكثر ما يثير الناس من **حكايات الحب والغرام**، وفي هذه الحكايات تكون القاعدة أن يحب أحد الناس إحدى البنات أو النساء، ولكن هذه البنت أو المرأة تحب رجلا، يحب بدوره أخرى لا تبادله الحب. وقد يتبادل اثنان الحب ولكنه ليس الحب الرومانسي الذي كان في الزمن الخالي، وسرعان ما يدخله الملل أو يصيب المحبين بالإحباط واليأس. ولقد ثبت أن المنتحر لا ينتحر بسبب الحب إلا لأنه

أصلا **شخصية درامية**، فلا هو يعيش إذا عاش كما يعيش النـاس، ولا هـو يموت إذا حان حينه ميتة الآخرين. ولا بد أن المنتحر الذي يموت يأسا مـن الحـب أو سُقْما، به ميل أصلا لأن يقدم الانتحـار عـلى الحيـاة. ومـن رأي **فرويـد** أن كـل كائن حي به صراع أبدي بين الحياة والموت، والبقاء والفناء، وتغلب إرادة الحيـاة على إرادة الموت عند البعض، وهؤلاء هـم المتفـائلون، وتغلـب إرادة المـوت عـلى إرادة الحياة عند البعض الآخر، وهؤلاء هم **المتشـائمون**. ومـن النـاس مـن يكـون اكتئابه **صريحا**، ومنهم من يكون اكتئابه **كامنا**، فلا يظهـر عـلى السـطح، ويداريـه بالمرح الزائد. والحياة كمبدأ يقابلها الموت كمبدأ، ومبدأ الحيـاة يحكـم مـن بعـد ذلك، ولذلك فإن **الانتحار يزيد في المراهقة** عنـه في الطفولـة، **وفي النضـج** عنـه في المراهقة، **وفي السن التالية** عنه في النضج. ويعمل مبـدأ الحيـاة أو غريـزة الحيـاة التي يطلـق عليهـا فرويـد اسـم **الإيـروس** أو الحـب، عـلى التـأليف بـين الأشـياء. ويضمن الإيروس حب الذات، وحب الغير، ويحوي الغريزة الجنسية التـي تـؤدي إلى بقاء النوع. وأمـا مبـدأ أو **غريـزة المـوت** أو التـدمير فإنهـا تعمـل عـلى هـدم الأشياء، وإعادة الكائنات الحية إلى حالـة العـدم. **وغريـزة المـوت** تكـون بـالأفراد فتتجه بهم إلى **خارجهم** فيكونون عدوانيين ويلجأون إلى تحطيم الغير، وقد تتجـه بهم إلى داخلهم فيكون تحطيمهم لأنفسهم ولجوءهم إلى الانتحار.

والانتحـار في **قصـص الحـب** قـد يكـون عـن إدبـار حقيقـي عـن الـدنيا، ويستهدي ميول المنتحر فيموت يأسا وكمدا. وقيل أن المنتحر غالبا ما تكون لديه **سوابق اكتئاب وتفكير في الانتحار** من طفولته. وقد يكون انتحاره **بطوليـا**، يـرضي به فكرته المتسامية عن **نفسه.** ويجعل لنفسه لدى الحبيبة صورة يحب أن تكون له عندها. وفي الحب يتراوح **الجانبان السـادي والماسـوشي**، والمحـب الـذي يقتـل نفسه يمارس الاتجاهين معا، وهو يجرب القتـل ويقـوم في نفـس الوقـت بتطبيـق ذلك على نفسـه. **والمحـب البطـل**، لأنـه لا يحقـق حبـه، يتمنـى مـوت محبوبـه، ونفسه والمحبوب في منزلة واحدة، ونحن عندما نريد أن نعبر عن **صـيغة منتهـى الحب** للمحبوب تقول إننا نحبه كأنفسنا، ولكن المحب ينـزع مـن هـذه الصـيغة **كاف التشبيه** لتصبح إننا نحب أنفسنا. ثم إن المحب يتوجه بتأثير الفشل والعجز والإحباط إلى التفكير في قتل المحبوب، ثـم في قتـل نفسـه وكأنـه يقتـل المحبـوب. ويختار المحب البطل الطريقة التي يموت بها وترضي خياله الجـامح ويلفـت بهـا تفكير محبوبته، بحسب مـا يريـدها أن تقـول عنـه بعـد موتـه. والمنتحـر البطـل ينتقل في تفكيره عبر مراتب الوجـود، مـن مرتبـة التفكـير في الآخـرين، إلى مرتبـة التفكير في نفسه، ومن مرتبة التفكير إلى مرتبة المعايشة، وهو يعيش الفكر الـذي يعتمل فيه، وعندما ييـأس مـن الحـب فـإن يأسـه ينسـحب مـن الوجـود برمتـه، **وانتحاره البطولي هو أعلى مراتب التفكير الوجودي كما يقول**

شـوبنهاور، ولـذلك كـان هـذا الضرب مـن الانتحـار **خاصـة الفنـانين والفلاسفة.**

والانتحار في عرف فليسوف مثل **إميل دور كايم** قد يدفع إليـه الغـير، أو يأتيه الفرد من تلقاء نفسـه، أو يكـون بتـأثير فقـدان المحبـوب الـذي هـو بمثابـة نفسه. والانتحار الغيري قد توحي به المحبوبة تلميحا أو تصريحا، أو يكون تقليدا في مجتمع يكثر فيـه أن ينتحـر المحبـوب. وفي **الهنـد** يوجـد تقليـد يسـمى **سـوتي** يطلب فيه المجتمع من المرأة التي يتوفى عنها زوجها أن تحـرق نفسـها مـع جثـة زوجها المتوفى. وكان قدماء المصريين يختارون فتاة من جميلات العـائلات الكبـيرة لتلقي بنفسها في النيل في الاحتفـال بوفائـه. وفي قصـة **روميـو وجوليـيت** يطلـب الراهب من جولييت أن تجرب ترياق السمّ، كوسيلة للخلاص من اضـطهاد أهلهـا والهرب مع روميو.

والانتحار الذي يدفع إليـه الشـخص مـن تلقـاء نفسـه يسـميه **دوركـايم انتحاراً ذاتياً**، والمنتحر فيه لا يستهدي أفكار الآخرين، ولكن فكرة الانتحـار تأتيـه من داخله، والانتحار الذي يأتيه يسـتهدف بـه إنـزال العقـاب بنفسـه، ربمـا لأنـه فشل أن يفوز بحبيبته، أو عجز في الحب، أو فشل في الزواج، أو لأنها خانته وهـو يلوم نفسه على خيانتها، وتكون إدانته لنفسه من الشدة بحيث يقضي على نفسه بالإعدام.

والانتحار بسبب فقدان عزيز كانتحار كليوباترا، فبعد أن يموت **مارك أنطونيو** تنعى كليوباترا حظها وتبكي حبها الذي كان، وتجلس إلى جثة حبيبها يعصرها الألم، فلا تجد الخلاص منه إلا بأن تلقى مصير حبيبها، وتخطو الخطوة التي تنقلها من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، وكأن فقد المحبوب يجعل المنتحر وكأنه لم تعد له بالحياة روابط، وكأنه كان يعيش من أجله، فلما فقده لم يعد لبقائه في الحياة مبرر.وكان **فرويد** يقول إن التحليل النفسي استطاع ان يحل لغز انتحار المحبين، بدعوى أنه ما من أحد له القدرة المعنوية على أن يزهق روحه، ويقتل نفسه، ويوقف غريزة الحياة فيه، إلا لأنه يعرف أو يشعر أنه بذلك يقتل في نفسه جزءاً لا يمتّ إليه أصلا بصلة، ولكنه استدخله في نفسه وصار جزءا منها، وهذا الجزء هو **محبوبته**، فهو من فرط حبه لها ومحاولاته احتواءها يتمثلها فيه، **وفرويد** يريد أن يقول أن الشخص الذي يقتل نفسه، لا يتوجه على الحقيقة بهذا القتل إلى نفسه بقدر ما يتوجه به إلى الآخر الذي تمثله فيه واستدمجه بحيث صار هو ونفسه واحدا، أو بمعنى آخر أن انتحار المنتحر هو بمثابة تمّني الموت للآخر، ولكنه يحقق الأمنية على نفسه، وكأن المنتحر إذ يغضبه انصراف محبوبته عنه، أو خيانتها له، أو عجزه عن التوافق معها، يتوجه بغضبه إلى نفسه باعتبارها المحبوبة. ويرى **فرويد** أن الدوافع العدوانية التي تعتمل في المنتحر مصدرها **ثانانوس غريزة الموت أو**

التدمير. ويذهب الوجوديون وأخصهم **مينجز** نفس الوجهة، ويقولون إن الانتحار يمثل انتصار الجوانب التدميرية في الإنسان المنتحر على جوانبه البنّاءة. ومن رأي الوجوديين أن الرغبة في أن نعيش تتوقف على مشاعر تقدير الذات عند الأنا الأعلى، فإذا نقصت هذه المشاعر لسبب من الأسباب، فإن الشخص ينكص إلى الطفولة، ويصير وحيدا مهجورا يعاني من الجوع العاطفي، وتحتدم به رغبات الطفل المهجور من أمه-أمه التي استدمجها فيه وتمثلها في ذاته، ولكنها تهجره فيكرهها ويتمنى لو تموت. والمنتحر وهو يقتل نفسه يحقق لها هذه الرغبة أو الأمنية، بأن يعدم محبوبته في نفسه بعد أن صارت جزءا مستدخلا في نفسه وفي أناه الأعلى. ومن رأي **فرويد وعلماء النفس الوجوديين** أن فقد المحبوبة، سواء في الطفولة أو النضج والرجولة، له دوره الحاسم في دفع الشخص إلى الانتحار. والطفل يتعلم من صغره أن أمه كلما هجرته تألم، ويواطن نفسه على أن يدفع عن نفسه ألم الهجر والانفصال. وهو يبكي في كل مرة ولكنه يطامن من ألمه ويتعلم أن يتحمله، ويكبر ويظل معه توقع الهجر من احبائه، وهو في كل مرة يهجرونه يطور دفاعاته ضد ألم الهجر، ولكنه في المرة التي تهجره فيها محبوبته لا يقوى على دفع ألم هجرها وتنهار دفاعاته، ويعيد إليه الفراق ألم الماضي الذي عاناه بانفصال أمه عنه، أو بانفصال الشخصيات ذات المعنى في حياته. ومثل هذا الشخص يعاني كثيراً من

خيانة أحبائه وغدرهم به وهجرهم له على الحقيقـة أو تـوهماً. وهـو في كل مرة تكون له علاقة حميمة بشخص، يتوجس ريبة من هذه العلاقـة، ويسـأل نفسه متى سينهيها الآخر، ويتوقع انتهاءها. وتتربى لـدى مثلـه مـا يشـبه **الحاسـة الباطنة**، كأنها ساعة زمنية داخلية تنبهـه إلى نهايـة العلاقـة بـزمن، وتحـذره مـن الانفصال المتوقع، ولذلك فأمثاله ينتحرون غالبا في **تواريخ معينـة** تعـود بهـم إلى ذكريات عزيزة، كأن ينتحر المنتحر في عيد مـيلادهن أو عيـد زواجـه مـن زوجتـه التي توفيت، أو ذكرى لقائه بحبيبته التي تزوجت بآخر، ويطلق البعض على هذا النوع من الانتحار اسم **الانتحار التاريخي**.

واما **المدرسة السلوكية**، فتفسر انتحار المحبين بـأن المحـب إذ ييـأس مـن محبوبته، فإنه يلجأ إلى الانتحار كسلوك لم يجربه من قبل، ولكنـه يمكـن أن يجـد له نتيجة لن تتحقق له إذا استمر على موقفه اليـائس. **والسـلوك الانتحـاري** هـو السلوك الوحيـد المتـاح لإنسـان نضـب معـين حِيَلُـه، ولم يعـد بوسـعه أن يجـرب طريقة أخرى مع محبوبة اسـتنفذ معهـا كـل الطـرق، وهـو ينتحـر لعلـه يصـيبها بالحسرة والندم على انتحاره بمثابة **العقاب** ينزله بها، ومن ثم فهو سلوك مفيد.

والمدرسة الإنسانية تذهب إلى أن المنتحـر إنمـا يقـدم عـلى الانتحـار لأن موقفه الوجداني ينعكس على موقفه من الحياة برمتها وينسـحب عليـه، وهـو إذ يرى الخواء في علاقته بمحبوبته ينتقل إحساسه

الهدمي إلى العالم حوله، ولا يعود يرى لحياته معنى، ويُزهق روحه لهذا السبب، طالما أنه في يوم من الأيام سيموت حتما، فليكن الآن أفضل من الغد الذي سيأتي بالمزيد من الإحباط والفشل.

والأطفال يمكن أن يقوموا بالانتحار. والطفل **دون العاشرة** لا يعرف حقيقة الموت ويرتبط عنده بموت شخص معين، ولكنه **بعد العاشرة** يدرك أن الموت يعني توقف الحياة في الجسد، وأن الجميع ميتون. **والأطفال لذلك لا ينتحرون إلا بعد العاشرة**. ويصف **توماس هاردي** وصفاً بارعً في روايته **تيس** كيف قتل ابنها نفسه وإخواته الصغار شنقا. والأطفال ينتحرون بسبب الحرمان من الحب والعطف والحنان، ولأنهم يعانون نتيجة شجار الأبوين أو انفصالهما، وزواج كل واحد منهما، وضغوط البيت التي تترتب على انشغال كل من الأم والأب بنفسه، أو إدمان الأب على المخدرات أو الخمر. والطفل الذي ينتحر إنما يفعل ذلك كرد فعل لموقف أمه النابذة. وانتحار الأطفال يكون بتناول المسكنات أو السموم، وكذلك تفعل البنات والنساء، إلا أن الأطفال الذكور والرجال يختارون ميتات أعنف بالأسلحة النارية، والأدوات الحادة كالشفرات والمطاوي، أو بإلقاء أنفسهم من فوق البنايات الشاهقة أو من فوق جسور الأنهار. وتبلغ نسبة الانتحار بسبب مشاكل الحب عند الكبار نحو 30% من

حوادث الانتحار كلها، وتبلغ نسبة الانتحار بسبب الحرمان العاطفي 25% .

والمنتحر الذي ينتحر لأسباب عاطفية **يكتئب** قبل الانتحار بمدة، وقد يجرب أن يكتب مذكرات يشكو فيها لواعجه أو احزانه لفراق حبيبته أو زوجته، أو ربما أمه، ويهزل ويمرض ويجافيه النوم. وهزاله ومرضه ربما عقاب يُنزله بنفسه نتيجة الرغبات المحمومة التي تحتدم به، ويفكر أن يقتل حبيبته أو حتى أمه التي يحبها، وربما تكون به رغبات تجاه أمه يدرك أنها ممنوعة ويكره نفسه بسببها. ويستوي **الطفل المنتحر** مع **البالغ المنتحر** من حيث أهدافهما من الانتحار، فلربما ينتحر أيهما هرباً من المواقف العاطفية الضاغطة التي لا يحتملها، أو مناورةً لاستجلاب عطف الآخرين أو إرغامهم على منحه حبا حرّموه منه، أو قد يرقى عنده الانتحار إلى أن يكون معادلاً للاتحاد بمحبوب لا أمل في الاتحاد به في الحياة. ويروي أن **فون كلايست** الشاعر الألماني، انتحر في الرابعة والثلاثين عند قبر حبيبته، وكتب أنه قد فعل ذلك أملا في لقاءٍ عاجل في السماء. وبذلك يضع الانتحار المفجع نهاية رومانسية لقصة حبٍ مثاليٍ غير متكافئ غالبا، أو نهاية نرجسية يتحقق للمنتحر بها إشباع رغبات ماسوشيةٍ مستعمرة فيه.

ويقول علماء النفس بأن هناك **سلوكا انتحاريا**، يلجأ إليه البعض كبديل عن الانتحار الصريح، فعندما تُلّح المشاكل العاطفية

وتستبد بالشخص، فقد يبدأ بارتكاب أخطاء من شأنها أن تعّرض حياته للخطر، كأن يكون عاملا أمام ماكينة فينسى نفسه بحيث تقطع الماكنة إصبعا أو ذراعا له، ورغم أن هذا الفعل منه يبدو كما لو كان لا دخل له فيه، إلا أنه في الواقع يصدر عن دافع داخلي لتدمير نفسه. وقد يتصرف الفاشل في الحب مثلا بحيث إذا استخدم سكينا، أو تناول شفرة، فإنه يجرح نفسه. وقد يتصرف بحيث يجعل السيارات تصدمه، أو يجعل من نفسه مغفلا فيغرر به الناس فيستحق اللوم ويلحقه العار.

والسلوك الانتحاري، سواء كان محاولة صريحة للانتحار، أو تصرفا معادلا، قد يأتيه الطفل أو البالغ عن **شعور بالوحدة**، وما يستحدثه فيه **الجوع العاطفي**. وقد ينتحر الطفل في **مناسبة سعيدة** كعيد الأم. لأنه قد حرم أمه، فيستجيب للمناسبة بالانتحار. وقد يتوهم الطفل أنه لو كانت أمه حية ترزق لكان أسعد حالا، فيطلب أن يرتحل إليها ويريد الموت ليجمعه بها. وقيل في تفسير هذه الحالة أنها **أعراض فصامية خاصة** إذا كانت محاولة الانتحار استجابة لهلوسات سمعية، تأمر الصغير بالذهاب إلى أمه المتوفاة في السماء أو ما شابه ذلك.

وقد يلجأ المراهق أو الطفل للانتحار **ثاراً** من أبويه، **وعقاباً** لهما بالقلق عليه، وقد يكون الانتحار **عقابا** يوقعه بنفسه وكان

بحسب أسبابها، فكان منها ما أمكن ردّه إلى الشعور بالوحدة، والجوع العاطفي، وفقد الزوجة أو الزوج، أو المعاناة الصحية كالعجز الجنسي، والخوف من المستقبل بعد وفاة الزوجة أو الزوج. وقد يكون هناك ضغط نفسي على المنتحر ليفقد صوابه ويلجأ إلى الانتحار، وفي **مسرحية الأب لسترندنبرج** تشكك الزوجة زوجها في ابنتهما، وتحاصره بالوساوس حتى ينهار وينتحر. ويوصف هذا النوع بأنه **قتل نفسي**. وقد يحدث في بعض المواقف في القتل العادي أن يستثير الضحية المجرم لقتله، كأن تعطي الزوجة زوجها السكين ليقتلها في تحدّ ظاهر، فيفعل ذلك على الحقيقة. ويحلل بعضهم موقف الزوجة بأنه **سلوك استثاري** تغيظ به زوجها وتستعديه عليها وكأنها تطلب به أن تنتحر. وقد يلجأ الزوج المطعون في كرامته، أو شرفه، أو حبه إلى أن يضرب نفسه بالسكين في مواضع غير القلب، بقصد إيذاء نفسه وليس قتلها، وذلك أيضا ضرب من السلوك الانتحاري. ومن الخطأ الشائع أن يقال إن الانتحار لا يمكن التنبؤ به، وأن المنتحر يفاجئ أهله بالانتحار، ففي 70% من حالات الانتحار تكون للمنتحر الهيئة والكلام الذي ينُبئ بإقدامه على الانتحار. ويكاد يكون هناك إجماع على أن **فترة احتضان الانتحار** قد تمتد إلى نحو ثلاثة شهور. وفي الحالات التي نبحث فيها من حيث علاقة الجنس بالانتحار، فإن المنتحر لأسباب جنسية قد يكُثر من ترديد عبارات كهذه وما فائدة

العيش بعدها، وهل بعد ما فعلته معي يمكن أن أواجه النـاس ، أي عـارٍ فيما فعلته! هكذا هكذا !! تجلبـين عـلي العـار!. فـإذا اسـتقر عـلى الانتحـار فـإن المنتحر يعتزل أهله والناس، ويبدو عليه السهوم والتفكير الشديد، ويقـل طعامـه وينام نوما عميقا، ويتصرف كما لو كان يعد نفسه لرحلة طويلة، وقد يسلّم عـلى الناس ويشكرهم لمعاملتهم الطيبة ويطلـب إلـيهم أن يسـامحوه، وقـد يكـثر مـن زيارة قبر محبوبته أو أمه، وقد يصلّي في استغراق، وقد يكتب رسـالة. وينبـئ كـل ما يكتبه المنتحرون قبل إقدامهم على الانتحار بما سيفعلونه. وبتحليل ما يكتبونه نستخلص للوهلة الأولى **اليأس الكامل**، وأن الانتحار هو الحل الوحيـد لمشـاكلهم، غير أنه في الحالات العاطفية للانتحار فإنه قـد يتبـين أن نحـو 50% فقـط تنعقـد نيتهم على الانتحار، إلا أن نحـو **ثلثـي المنتحـرين** لا يرغبـون فيـه فعـلا، ولكـنهم يحاولونه كتهديد لأهلهم وذويهم وأصدقائهم، وأكثر ما يكون ذلـك عنـد النسـاء، فما أسهل أن تُقدم امرأة على تهديد من تحب بالانتحار، غير أن الأمـور يمكـن أن لا تسير كما تهوى، ويؤخذ من حالة **سميرة مليان** التـي أقـدمت عـلى الانتحـار في شقة الملحن **بليغ حمدي**، والتي اشتهرت حادثتها، أنهـا مـا كانـت تريـد الانتحـار فعلا، ولكنها تهدد به فانقلب جدّاً. وكانت زوجة الكاتب الروسي **الأكبر تولسـتوي** تهدده يوميا بالانتحار، ولم تكن تتهيأ لها الظروف التي تجرّب فيها ما تهدد به.

والعـلاج النفسيـ للحـالات التـي يصرـ أصـحابها عـلى الانتحـار لأسـباب عاطفية، يكون بطمأنة الشـخص ومسـاعدته عاطفيـا، وتجنيبـه كـل مـا يمكـن أن يفهم منه عدم فهم المحيطين به لمشكلته وعـدم تعـاطفهم معـه. ويقـوم **العـلاج السلوكي** لهذه الحالات بمحاولة مساعدة الشخص على فهـم مشـكلته وأن يتحقـق من ان الانتحار لا يحلها، ولكن حلها يكون بسـلوك آخـر يختـاره بنفسـه كسـلوك هـادف ولـه فائـدة ونتيجـة. ويتوجـه **العـلاج الوجـودي** إلى محاولـة أن يتوصـل الشخص إلى معنى جديد لحياته، بظروفه الجديدة، فيجرب مـن جديـد، ويحـاول باستمرار.

وكان برتراند رسل يقول إن الجـنس لازم لحيـاة كـل منـا لـزوم الطعـام، وبدون الجنس والعواطف قد يستطيع الإنسان أن يعيش الحرمان، ولكن لا يمكن إلا أن يكون له مـردود سـيئ عـلى تفكـيره وفهمـه للحيـاة، والجوعـان جنسـيا أو عاطفيا لا يفكر تفكيراً صـحيحا أو صـحيا، وعنـده تهـون كـل مشـكلة إلا **مشـكلة القلب والفرج**، وهو إذ يمنع عـن الجـنس، أو يحـال بينـه وبـين أن يعـيش حيـاة جنسية أو عاطفية مشبعة يمكـن أن يـأتي مـن التصرـفات مـا لا يمكـن التنبـؤ بـه، ومثلما **الجسد** له ما يحتاجه من غذاء، فإن **الوجـدان** قـد يـذبل ويمـرض ويصـيبه السقام إذا لم يرتو عاطفيا. والحب قيمة مـن أجـل القـيم وأخطرهـا، وينبغـي أن يشملها التعليم بواقعية، ولم يكن تناولها بمثالية إلا سببا

لإيراد أصحاب هذا الاتجاه المثالي مـوارد التهلكـة، وإذا تعلّمنـا في بيوتنـا ومدارسنا، أن للجنس أخلاقيات، وأن أخلاقيات الجنس أو القيمة الجنسية، ليست إلا واحدة من الأخلاقيات والقيم العديدة في الحياة، وأن السعادة في حيـاة لا بـد لها من قيم من نـوع مـا، وليسـت القيمـة الجنسـية أو الأخلاقيـات العاطفيـة إلا مجالا من مجالاتها وليست كل المجالات، يقول رسل لو حدث ذلك لأمكن تحاشي الانتحار الذي سببه الجنس أو المشاكل العاطفية.

التوافق في الحب والزواج
التوافق النفسي / الجنسي

التوافق في الحب أو في الزواج علاقة مواءمة وتكيّف بين الخطيب وخطيبته، أو المحب ومحبوبته، أو الزوج وزوجته، فيستطيع أي من هؤلاء أن يستوفي حاجاته من الآخر ويشبعها، وأن ينهض على ما يطلبه منه الآخر، وأن يواجه الظروف التي تحيط بهما أو تُفرض عليهما لصالح استمرار علاقة المحبة أو الزواج. وقد تجعله الرغبة في التوافق يعدّل من سلوكه أحيانا، وقد تمتد محاولات التعديل إلى البيئة نفسها، فيقارب بين إمكاناته وظروف البيئة أو المحيطين به من الأهل والأصدقاء، فإذا نجح في ذلك فإننا نصفه بأنه إنسان متوافق. والفشل في تحقيق ما سبق هو **عدم التوافق**، وقد يدفعه عدم التوافق إلى أن يقتل نفسه، وعدم التوافق هو الذي يُكرِه العشاق والمحبين على الانتحار. وقد لا يفشل المحب ولكنه يحقق نجاحاً محدودا، وتظل علاقته بمحبوبته أو بزوجته داخل إطار معين، فلا هي بالمقطوعة ولا هي بالموصولة، وعندئذ نقول إنها علاقة تتسم **بسوء التوافق**. وسوء التوافق في علاقات الأزواج والمحبين هو المسئول عن الاضطرابات

السلوكية التي تجري بينهم، وقد يصابون منه باضطرابات نفسية لا تجعل تصرفاتهم تبدو سوية.

والزوجان أو المحبان اللذان يعيشان في توافق نفسيء تجدهما في نعمة حقيقية وسعادة يحسها كل المحيطين بهم، فأولاً تشعر الزوجة أو الحبيبة أنها تثق في زوجها أو حبيبها، وأنها في كَنَفه في أمان، وبه أو بها يزيد إحساس كل منهم أنه صار أفضل مما كان، وأن احترام الناس قد زاد له، وان تقديره لنفسه قد كبر، وكفاءته ارتفعت، وأنه قد صار محل اعتزاز ومحبة من الآخرين.

والتوافق في الحب أو الزواج لا يمكن أن يتأتى على أساس من المعرفة الخاطئة بالمجتمع أو بالنفس، فقد يحسب المحب أنه متوافق مع محبوبه وذلك بناء على معرفة خاطئة أو مغلوطة بالمحبوب. وقد يترتب على ظن التوافق أن تستنفر الضغوط الواقعة على الطرفين من بعضهما دفاعات الأنا، فيتصدى الأنا لهذه الضغوط أو الشكوك أو الخلافات، باستجابات تحاول أن تستحدث التوافق أو تطيل أمده، ومن ذلك **إنكار** المحب للواقع أو **تجاهل** الزوج لما وصلت إليه حالة أسرته، أو **إغفال** الزوجة لإهمال زوجها لها، أو **هرب** الزوجة من المشاكل مع زوجها إلى عالم متُخَيل، وقد تدفن أحزانها وسوء توافقها في هواية من الماضي كالمطبخ، أو تنصرف تماما إلى التحصيل الدراسي إلى أن تحصل على الدكتوراه مثلا، وقد تهوى الثياب، أو قد **ينكص** أيهما إلى

استجابات من الماضي كانت ناجحة يوما فيكررها الآن مع أنها لا تصلح للمواقف الجديدة، ومن ذلك ما نشاهده مثلا من ترفّع الزوجة على زوجها، وتصرفاتها معه بحيث تشعره أنه كان يوما موظفا صغيرا عند ابيها، برغم أنه الآن صاحب شركة مثلا ومرموق اجتماعيا. وقد **يكبت** الزوج رغباته ويلغي أفكاره دون أن يدري هربا من الواقع.

ومن التوافق بين المحبين والأزواج أن **يتعين** الواحد منهما بأهداف الآخر ومعتقداته وتقاليده وأعرافه، ويقوم الحب والزواج الناجح على الفهم المتبادل والتفاهم المستمر وما من زوجة أو زوج يلجأ إلى الكذب أو أية حيلة غير سوية إلا لأنه يستشعر أن زواجه في خطر، ولكنه يستجيب بدفاعات غير سوية لأنه أخفق في التوافق مع ظروف زواجه، وليس الطلاق إلا وسيلة متطرفة ضد **الإخفاق في التعويض** عن التوافق في الزواج.

وقد يؤدي **الإخفاق في التعويض عن التوافق** في الحب أو في الزواج إلى المغالاة في التصرفات، حتى ليستحيل الشخص إلى عصبي، وكثيرا ما نردّ سوء التصرف والعصبية الظاهرة في الزوجات أو الأزواج إلى تأثير سوء التوافق في الزواج أو الحب. وليس أظهر للسمات الخُلُقية للشخص، أو للتداعي النفسي- بالاضطرابات الهستيرية أو الاضطرابات النفسية الجسدية، من سوء التوافق في الحب والزواج، فمثلا قد يتأخر حل الزوجة، وتحت وطأة الكلام الكثير من أهل

الزوج قد تأتيها أعراض الحمل الكاذب، أو تتداعى بأعراض تُشبه الصرع، أو تنسى كثيرا. وقد يؤدي سوء التوافق بالزوج إلى أن تتحول وسائله الدفاعيـة إلى **دفاعات ذهنية**، فيشك في زوجته وينسب إليها الخيانة. ومثل هذا الـزوج يحـاول بهذه الطريقة أن يكون له **واقع متوهم** يعوضه عن الواقع الأصـلي، أو يـدفع بـه عما قد تبقي له من تكامله النفسي. وهو عندما ينسب الخيانة لزوجته يدفع عن نفسه التقصير أو النقص، واعتقاده هذا قد يجعله يشعر أنه كفء وقـد يسـاعده ذلك على أن يستشعر بعض التكامل. وقد تكبت الزوجة ما بنفسها ولا تصرح بـه إلى أن تنهار تماما وتدفع الثمن من صحتها النفسية.

والإخفاق في التعويض عن التوافق الذي يُمنَى به الأزواج والمحبـون كثـيراً قد يصيبهم منه الإنهاك النفسي، حتى أن **الأنا** قد ينفرط تماما بسبب هذا الإنهاك النفسي، فيلجـأ المحـب إلى إطـلاق الرصـاص عـلى حبيبتـه، أو قـد تطلـق الزوجـة بالرصاص على نفسها، أو ينتحر الزوج، أو يصاب أيهما بالذهول عمّا حوله وتكون بهذا الذهول نهاية حياته. وليست شكوى الكثير من الزوجات من حالات **الإنهاك النفسي** إلا بسبب التوترات المستمرة مع الزوج. والمريضة **بالنهك العصبي** تحـس أنها واهنة وعاجزة عن بذل أقل الجهد، ويؤلمها ظهرها،

ويجافيها النوم، وربما كان ذلك لشعورها بأن زوجها يخونها، أو أنه متزوج بأخرى، وانعدام الأمان يترتب عليه العيش في قلق مستمر.

ومن الاضطرابات التي يمكن أن تصيب الزوجة من جراء سوء التوافق ما يقال له ذهان **ربة البيت**، وهو حالة تتردى إليها بعض الزوجات نتيجة الفشل في الحب والزواج، فتفنى نفسها في البيت، وتظل تعمل فيه من بواكير الصباح حتى النوم دون كلل، وذلك ما يوصف بأنه **إفراط في التعويض عن التوافق**.

بسم الله الرحمن الرحيم

تأتي هذه السلسة إنطلاقا من قناعة الدار بضرورة التركيز على بعض مخبؤاتنا التي نحاول تجاهلها أو القفز عنها ، غير عابئين بما قد يفرزه تجاهلنا لها من إنحرافات قاتلة لدى أطفالنا .

إن سياسة دفن الرؤوس لم تعد مجدية في ظل التطور التكنولوجي المتسارع عالميا ، مما جعل العالم أشبه بقرية صغيرة ، لم تعد متاريسنا تجدى نفعا إزاءها ، حيث أن أبناءنا باتوا قادرين على إختراق كل المتاريس والإحتياطات من خلال الإنترنت المتوفر في كل شارع من شوارع مدننا العربية والستالايت الذى أصبح داخل بيوتنا ، لذا كان لزاما علينا أن نركز على رؤى عربية لا تسقط الرؤى العالميّة العلميّة في المجالين الجنسي والنفسي ، وتأخذ في الوقت ذاته بخصوصية الرؤية العربية الاسلامية

املين أن يوفقنا الله فيما ابتدأنا .

الناشر

ISBN 9957-30-003-2 (ر د مك)

دار فضاءات للنشر والتوزيع

جبل عمان - عمارة البرج تلفاكس : 4656128
ص ب 20586 خلوى 077911431

